دراسة تحليلية لتطور حركة الترجمة في العصرين الأموي والعباسي وأبرز الآثار المترتبة عليها

الباحث
أ/ منيف ثاني فاضل العنزي
ماجستير في الترجمة الفورية ـ جامعة نايف العربية

المقدمة:

التواصل الثقافي بين الحضارات له عدة أشكال وطرق، والترجمة تعد أرقى هذه الطرق إذ من خلال ترجمة ثقافة الآخر تنساب أفكاره ومعتقداته وتجاربه بسهولة ويسر. والحضارة العربية الإسلامية وبالتحديد في العصر العباسي المبكر لعبت الترجمة دور في تشكيل الثقافة العربية الإسلامية من خلال انفتاح الدولة العباسية على تراث الأمم السابقة سواء تراث الشعوب التي خضعت تحت سيطرة الدولة العباسية كالفارسية أو الشعوب المجاورة كاليونانية والهندية والصينية وكان أهم أسباب انطلاق حركة الترجمة تبني النخب السياسية في الدولة العباسية ممثلة بالخلفاء لهذه الحركة مما أدى إلى إطلاق قوى المجتمع بحيث أصبحت ثقافة عامة للمجتمع شارك فيها جميع النخب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. فكان تأثر وتأثير الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى واضحا سواء التأثيرات العلمية واللغوية والاقتصادية والإدارية وغيرها.

ويتطلب واقع الأمة العربية، النهوض بحركة الترجمة وخاصة في ظل حالة التخلف الحضاري الذي تحياه الأمة، حيث أنها لا تزال تستهلك المنجزات الفكرية والتقنية والحضارية للغرب، ولذلك فإن نشاط حركة الترجمة والتأليف يعد ضرورة حتى لا تحدث الفجوة الكبيرة بين ما تعيشه البلاد المتقدمة، وبين ما تحياه الدول التي تستخدم لغاتها الوطنية في التعليم.

وتعد الترجمة أحد الوسائل المهمة التي انتقلت من خلالها العلوم والمعارف الإسلامية إلى أوربا "حيث استمرت حركة الترجمة نشيطة من العربية إلى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر حتى الرابع عشر. وفيها نقلت كتب العرب التي كانت تتضمن التراث اليوناني مع شروحه وتعليقاته، وكانت الترجمة إلى العربية تلقى رعاية الملوك الأسبان، حيث شجع الملك "الفونس الخامس" ملك قشتالة وأكبر دعاة الثقافة العربية في أسبانيا المسيحية، المترجمين بأن ينقلوا إلى اللغة الأسبانية كثيراً من كتب التراث العلمي العربي، ويعد جيرار الكريموني، أشهر مترجمي التراث العربي في تلك الفترة، وكان يرأس مدرسة للترجمة تمارس نشاطها تحت رعاية حكومة أسبانيا" (الطويل، 1985، 157).

وامتدت حركة الترجمة في هذه الفترة لتشمل كتباً كثيرة في مجالات متعددة منها: في مجال الطب: كتب الرازي، وابن سينا، وابن ماسويه، أبي القاسم الزهراوي، كما ترجمت كتب الحسا والجبر للخوارزمي. كما ترجمت إلى الألمانية واللاتينية، كتب: ابن البيطار في "علم الأدوية" وترجمت كتب أخرى من العربية إلى الإيطالية، مثل كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي (عبد الرحمن، 1991، 134).

ولقد أدت الترجمة دوراً كبيراً في نقل حضارة المسلمين من أسبانيا وصقلية إلى فرنسا وإيطاليا،، وقد نفذت فلسفة قرطبة وحكمة معلمها الكبير ابن رشد إلى جامعة باريس، كما تجملت "بالرمو" بالبيوت ذات الطراز الإسلامي، كما قد يكون من العجيب أن يسود العلم العربي والإسلامي في أوربا على يد رجال دين مسيحي، وهم في نفس الوقت من أكبر الدعاة إلى الحروب الصليبية على الشرق الإسلامي، وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت ترجمة التراث العربي والإسلامي تلقي اهتماماً كبيراً، ويبدو أن أوربا حرصت على نقل التراث العربي إلى لغتها مدفوعة بأمرين: أولهما: ازدهار الحضارة العربية، وتفوقها على ما عداها في سائر أنحاء أوربا في ذلك العصر، وثانيهما: سعي أوربا إلى إحياء التراث اليوناني القديم، حيث كانت اليونانية مجهولة في الغرب كله باستثناء صقلية، وبعض المدن الرومانية (شلبي، 1982، 112).

وإذا كانت الترجمة عملية حاسمة ومؤثرة للغاية في قضية التقدم الحضاري، فإن النهوض بالترجمة يعد قضية أمن قومي للأمة، خاصة أن واقع الترجمة في الوطن العربي يفتقر إلى التنسيق والتخطيط على المستوى الوطني أو الإقليمي، ويعاني هذا الواقع من ضآلة في عدد المراجع المترجمة، وعدم مسايرة الترجمة للتقدم العلمي. كماً وكيفاً، وقلة المترجمين المؤهلين، وندرة المتخصصين منهم (الهلباوي، 1987، 240).

ولا يختلف واقع الترجمة في الوقت الحالي عن هذه الحال كثيراً، حيث لا تزال حركة الترجمة تواجه كثيراً من العقبات التي تعوق النهوض بها ومن بينها:

أ- ضعف مستوى تعليم اللغات الأجنبية في المدارس، والجامعات.

ب- قلة التخطيط والتنسيق بين ما يترجم، بحيث تطغى المجالات الفنية والأدبية على النواحي العلمية والتقنية.

ج- ضعف مستوى تعليم اللغة العربية، مما قد يحول دون التعبير بها تعبيراً سليماً حتى إن وجد المترجم الذي يتقن اللغة الأجنبية.

د-كما أن قضية الترجمة ونشر الكتاب المترجم، لا تحظى بالتشجيع والاهتمام المطلوبين للنهوض بهما، رغم الأهمية الحيوية لهما لمواجهة متطلبات التنمية الشاملة.

ه-قلة وجود القراء الذين تدربوا على حب القراءة والاطلاع في غير الكتب المقررة وخارج تخصصاتهم العلمية، وإذا لم يتكون القارئ الجيد، فما جدوى التأليف والترجمة، ونشر المترجم والمؤلف ؟!.

وينبغي التأكيد على نموذج طيب للترجمة في شتى مجالات العلم والمعرفة، وهو سلسلة "عالم المعرفة"، التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، وقد أخذ على عاتقه مهمة نشر الأعمال الإبداعية المترجمة أو المؤلفة في الآداب والفنون، وفي العلوم الطبيعية والتطبيقية (الفيزياء، والكيمياء، والأحياء، والرياضيات)، وهذا النموذج الجيد شجع على الترجمة والتأليف باللغة العربية في هذه المجالات. ..، مما قد يثري اللغة العلمية، ويعمل على نشر واستخدام المصطلحات والمفردات العربية، بحيث تصبح خلال فترة زمنية، أمراً مألوفاً يحقق الفائدة المرجوة، ويعين المثقف العربي على استيعاب المادة العلمية بلغته الأصلية، وبطريقة مضاعفة من الاستيعاب والتمثل الفكري (غنيمة، 2000، 110، 111).

قضية الدراسة:

يمكن القول أن نهوض حركة الترجمة والتأليف العلمي، يكفل نجاح مسيرة التعريب الشامل في مختلف العلوم والفنون، ويحتاج ذلك للتخطيط والتنسيق على المستوى الوطني والإقليمي لحركة الترجمة، كما يستلزم تضافر الجهود السياسية، والأكاديمية، والعلمية والاقتصادية، كما يستدعي تعاون كافة المؤسسات المعنية بحركة التعريب والترجمة، مثل مجامع اللغة العربية، ورابطة الجامعات الإسلامية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وفي ضوء ما سبق تتمثل قضية الدراسة في تناول قضية الترجمة وبيان تطورها التاريخي في العصرين الأموي والعباسي وبيان أبرز الآثار والنتائج المترتبة عليها.

أسئلة الدراسة:

١. ما الإطار المفاهيمي للترجمة؟
٢. ما الملامح العامة لتطور حركة الترجمة في العصرين الأموي والعباسي؟
٣. ما أبرز القوى والعوامل المؤثرة على حركة الترجمة في العصرين الأموي والعباسي؟
٤. ما أبرز الآثار المرتبة على حركة الترجمة؟

أهداف الدراسة:

١. بيان الإطار المفاهيمي للترجمة.
٢. تحديد الملامح العامة لتطور حركة الترجمة في العصرين الأموي والعباسي.
٣. الكشف عن أبرز القوى والعوامل المؤثرة على حركة الترجمة في العصرين الأموي والعباسي.
٤. تحديد أبرز الآثار المرتبة على حركة الترجمة.

أهمية الدراسة: تنطلق أهمية الدراسة من عدة اعتبارات منها:

١. ترجع نشأة حركة الترجمة كعملية منظمة، وتوجه مرغوب فيه إلى فترة العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي.
٢. حالة الاستقرار السياسي النسبي في هذين العصرين، والذي أتاح للعلماء والمترجمين، الاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى.
٣. تعد هذه المرحلة التاريخية، تأصيلاً تاريخياً لحركة تعريب العلوم، والتي بدأت بترجمة تراث الآخرين، وازدهرت مع إبداع الجديد والأصيل في مختلف العلوم والفنون.
٤. يمكن أن تفتح المجال أمام الباحثين لدراسات مستقبلية مرتبطة بنفس المجال.
٥. يمكن أن تفيد المترجمين من خلال تعرف الملامح العامة للترجمة وأبرز متطلباتها والآثار المترتبة عليها.

منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهجين الوصفي والتاريخي لملاءمتهما لتحقيق أهدافها.

الإطار المفاهيمي للدراسة:

المحور الأول: الإطار المفاهيمي للترجمة:

أولاً: مفهوم الترجمة:

لغةً:

يقال ترجم الكلام: إذا بينه وأوضحه ويقال: ترجم كلامه إذا فسره بلسان غيره، وترجم كلام غيره وعنه: نقله من لغة إلى أخرى ومنه الترجمات (الجوهري، 1999، 1566).

اصطلاحاً:

الترجمة هي (ترجمة الكلام أو الكتابة من لغة إلى أخرى) (جبر، 2009، 12) بينما عرفها أكرم مؤمن (بأنها فن نقل الكلام من لغة إلى أخرى) (مؤمن، 2004، 7) وهو في ذلك يتفق مع د. ممدوح في تعريف الترجمة باعتبارها نقل كلام. ويعرفها الدكتور صفاء خلوصي بأنها (فن جميل يعني بنقل ألفاظ ومعانٍ وأساليب من لغة إلى أخرى بحيث أن المتكلم باللغة المنقول إليها يتبين النصوص بوضوح ويشعر بها بقوة كما يتبينها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصلية) (خلوصي، 1982، 292).

وعرف البعض الترجمة بقوله: (الترجمة في الأصل هي نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، وتقول فلان ترجم الكلام أي بينة وأوضح معانيه، أو بسطه وبين مقاصده وصيره مفهوماً) (مصطفى، 2000، 4).

وهي اصطلاحاً كما يعرفها أشرف معوض (فن نقل الكلام المعبر عنه بلغة ما إلى لغة مطلوب فهم هذا الكلام بها، سواء أكان هذا الكلام شفهياً أم مكتوباً) (مصطفى، 2000، 4).

فالترجمة أو النقل هي إعادة كتابة موضوع معين بلغة غير اللغة التي كتب بها أصلاً، وهي نقل الألفاظ والمعاني والأساليب من لغة إلى لغة أخرى (هلال، 2004، 404)، ومع أن الترجمة قديمة قدم الأدب إلا أن هناك جدل مستمراً بين من يرون فيها التقيد بالأصل حرفياً ومن يرون التصرف ومن يرون عدم الجدوى في الترجمة لمن يريد أن يتذوق الأثر الأدبي على الوجه الصحيح (وهبة، 1974، 54).

والترجمة في الأساس عملية إبداعية بحيث يقوم المترجم بدراسة جميع المعطيات الضرورية لفهم النص الأصلي وإعادة خلقه ويدخل ضمن ذلك العملية العامة للترجمة معزولة عن الزمن الذي يدرس فيها المترجم هذه المعطيات سواء بدءاً بالعمل خلف مكتبه أو مباشرةً إبان الترجمة. فالترجمة تبدأ عندما يبدأ المترجم بنفسه في النتاج الذي يترجمه شاعراً انه يقوم هو بكتابة النتاج (سوريان، 1979، 56).

ولكي تكون الترجمة عملاً ناجحاً ونشاطاً ثقافياً مجدياً لابد لها من مترجم له الإمكانات أو المستلزمات التامة من الناحية اللغوية والفنية والتكوين اللغوي بتنوع اللغات والتكوين الفني بتنوع المادة العلمية أو الأدبية التي تتناولها الكتب أو تعالجها المقالات والبحوث (محمد، 1969، 19).

كما تعرف الترجمة بأنها مصطلح عام يشير إلى نقل الأفكار والآراء من لغة ما (المصدر) إلى أخرى (الهدف)، سواء كانت عملية شفوية أو مكتوبة، وبغض النظر إذا ما كانت اللغة(إحداهما أو كلتاهما) لغة إشارة(Akbari، 2013) .

ثانياً: أهمية ترجمة النصوص الإسلامية:

الترجمة من أهم الوسائل قديماً وحديثاً في التواصل الحضاري بين الأمم والشعوب من خلال منطق الأخذ والعطاء بين الثقافات المختلفة وكذلك بين اللغات وغيرها.

ازدهار الحضارات والفكر الإنساني مرتبط ارتباطاً طردياً بعملية الترجمة، فكلما كانت الحضارة على اتصال بمثيلاتها عبر الترجمة كان ذلك أدعى لازدهارها كما هو الحال في الحضارة الإسلامية التي استفادت من اليونانية، والحضارة الغربية التي استفادت من الحضارة الإسلامية.

فالترجمة تساعدنا على معرفة الآخر عن طريق نقل فكره إلينا وتساعدنا كذلك على إدراك الذات عن طريق:

١. تسليط الضوء على الآخر لنتعرف عليه وبمعرفتنا نستطيع معرفة أنفسنا.
٢. إدراك الذات عن طريق إدراك الآخر لنا وذلك بنقل تصورات الآخر عنا.

تعمل الترجمة على إحداث نهضة ثقافية واقتصادية وذلك بنقل مفاهيم ثقافية من الثقافات وعلومها وتقنياتها إلى ثقافة أخرى.

كما تؤثر الترجمة في الحركات السياسية والاجتماعية، وكثيراً ما تنتقل مفاهيم سياسية واجتماعية من حضارات إلى أخرى عن طريق الترجمة، فعبرها عرفت الديمقراطية الغربية وتفكير المجتمع الغربي.

تلعب الترجمة دوراً مزدوجاً بين الثقافة المنقول إليها والثقافة المنقول منها حيث

تأتي أهمية ترجمة النصوص الإسلامية ومعانيها إلى اللغات الأخرى لقلة المسلمين الذين لا يتحدثون باللغة العربية مقارنة بأولئك الذين يتحدثون العربية ويقطنون في منطقة الشرق الأوسط.

هنالك مئات الملايين في قارة آسيا مسلمون ولا يتحدثون اللغة العربية وهنالك عشرات الملايين في قارة إفريقيا مسلمون ولكنهم لا يتحدثون اللغة العربية، كما يوجد كثير من المسلمين في أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا لا يتحدثون اللغة العربية. وهؤلاء المسلمين يحتاجون إلى ترجمة النصوص الإسلامية إلى لغتهم الأم حتى يستطيعوا فهم الإسلام، (كم من المسلمين في شتى بقاع الأرض لا يقدرون على قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف لعدم فهمهم اللغة العربية؟ وكم من أناس يرغبون في معرفة الإسلام وحضارته ولكن يحجبهم عن ذلك حاجز اللغة؟ وكم من الناس أضلهم الأعداء بسبب كتاباتهم التي شوهت صورة الإسلام وشككت فيه؟ من هنا تبرز أهمية دور الترجمة الدينية في الدعوة إلى الله) (مجلة المجتمع، ٢٠٠٣).

تهدف ترجمة النصوص الإسلامية إلى تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة فعبرها يستطيع هؤلاء معرفة الإسلام والدخول في دين الله.

كما تهدف الترجمة الإسلامية إلى المساعدة على تصحيح المفاهيم الإسلامية المتمثلة في العقيدة الصحيحة بعيداً عن بعض المعتقدات الضلالية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، وحتى يفهم المسلمون من غير العرب الإسلام فهماً صحيحاً كان لا بد من ترجمة نصوصه ترجمة صحيحة.

وتهدف الترجمة الإسلامية إلى رد شبهات أولئك المستشرقين الذين بذلوا جهوداً كبيرة في طعن الإسلام وإظهاره بالدين المتناقض المنقول عن كتب اليهود والنصارى (عبد الرحمن، ١٤٣٠).

ثالثاً: استراتيجيات الترجمة

لا يوجد استراتيجية ثابتة للترجمة وتصلح لكل المترجمين وكل الموضوعات (Akbari، 2013)، وتظهر الحاجة إلى استراتيجية أو أكثر عند الترجمة بالمعنى أكثر من الحاجة إليها عند الترجمة الحرفية، وفي ترجمة المعنى يمكن الاستعانة بالاستراتيجيات التالية:

- الترجمة الحرفية. وهي نقل الكلمة كما تنطق في اللغة المصدر بحروف مشابهة في اللغة المستهدفة. مثلان نترجم كلمة computer إلى كمبيوتر وهذه الترجمة تستخدم عند وجود ألفة واستخدام متكرر للمفردة حتى أنه يتم إدخالها في البنية اللغوية للغة الثانية فيتم إضافة علامات الإعراب عليها، فنقول مثلا: كمبيوتر كمبيوتران كمبيوترات، وتستخدم عندما تكون المفردات المتقابلة في اللغتين تعطي نفس المعنى مثل: الحرب الباردة cold war
- التعديل. وهنا يتم استخدام جملة تعطي المعنى دون التقيد بالمفردات أو ترتيبها مثل في العجلة الندامة (Haste makes waste). حيث تستخدم في ترجمة الأمثال الثقافية والأدب نثرا وشعرا.
- التكافؤ أو المعادلة: وهي ترجمة المعني بما يقاربه من المفردات في اللغة الثانية فمثلا نترجمه (he got seriously ill.): لقد اشتد عليه المرض الاستعارة، ترجمة افتراضية، الترجمة الحرفية، تبديل، تعديل، التكافؤ والتكيف معه (Munday، 2001)

رابعاً: أنواع الترجمة (مؤمن، 2004):

توجد تصنيفات عديدة للترجمة يمكن تناولها على النحو التالي حسب وجهة نظر الباحثين:

الترجمة الحرفية:

وهي الترجمة التي يلتزم المترجم فيها بالنص الأصلي، ويتقيد فيها بالمعنى الحرفي للكلمات، حيث لا تترك للمترجم فرصة للتصرف بمرونة للوصول إلى أحسن صياغة.

الترجمة التفسيرية:

وفيها يتدخل المترجم بتفسير وشرح بعض الألفاظ الغامضة والعبارات التي ترد في النص الأصلي.

التعريب:

والتعريب لا يصلح ـ بالطبع ـ إلا في ترجمة القصص والروايات والأعمال الأدبية بصفة عامة، وهو لا يتم بمجرد تعريب الكلمات والمصطلحات، ولكن تعريب المواقف والشخصيات والبيئة أيضاً.

الأقلمة:

والأقلمة هي جعل النص يناسب الإقليم الذي سينشر فيه، وهي تتم أيضاً في الأعمال الأدبية بمختلف أنواعها، ومثال ذلك تمصير القصة (أي جعلها قصة مصرية) أو سعودة البيئة (أي جعل بيئة الموضوع تمثل المجتمع السعودي).

إن الصعوبة الأساسية في هذا الفن متأتية من وجود ألفاظ معينة في كل لغة لا مقابل لها في اللغات الأخرى، ومن هذا القبيل الألفاظ الدالة على الأخلاق والعواطف والمشاعر المنعكسة أو الذاتية (خلوصي، ١٩٥٦، ١٣).

الاقتباس:

وفي الاقتباس يأخذ المترجم فكرة رئيسية من عمل فني أو أدبي ويخرجها في صورة جديدة بلغة جديدة تناسب أهل ودولة بعينها.

كما تنقسم الترجمة إلى أنواع عدة منها الترجمة الحرفية التي يكون فيها النص ركيكاً وغامضاً في بعض الأحيان بسبب الالتزام بترجمة كل كلمة مستقلة بنفسها ومنها أيضاً ترجمة المعنى أو الترجمة الحرة وهي القيام بالترجمة مع شيء من التصرف في التعبير مع ذكر المعاني الأصلية الموجودة في النص الأصلي، وهذا ما يسمى بمشكلات الترجمة وهي تتلخص بموضوع

نوع الترجمة حرفية أم بتصرف ؟، وهل تكون الترجمة انعكاساً لأسلوب الكاتب؟وهل يمكن الزيادة أو النقص والتقديم والتأخير وترجمة الشعر والنثر والأسلوب المستخدم في ذلك؟وهل يمكن ترجمة الشعر إلى نثر؟كما لا يمكننا أن ننسى موضوع الأمانة العلمية في الترجمة والتزام المترجم بها (محمد، 2005، 28)، فالترجمة لا تكون بمعزل عن السياق العام الذي يحيط بها، وذلك لأن السياق يمثل الوسط الثقافي فهو يدعمه ويمثل أرضيته الحضارية (كيدير، 2011، 11)، فهي يجب أن تراعى إلى جانب مشكلة المفردة وترجمتها مشكلات الأسلوب والنحو والشكل العام للنص المترجم (محمد، 2010، 3، 4).

إن ترجمة التصرف تحدث كثيراً في الترجمة بين لغتي المصدر والهدف، وفي أي لغة من لغات العالم سواء أكانت من نفس الفصيلة اللغوية أو من فصيلتين لغويتين مختلفتين ونظرا لعدم تطابق لغتين تطابقا تاماً في معجميهما أو في ثروتهما اللفظية، فلكل لغة بيئتها ونشاطها وثقافتها التي ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً، وعندما لا يجد المترجم مكافئاً لكلمة واحدة في اللغة الهدف يقابل الكلمة المراد نقلها من اللغة الأصلية يلجأ إلى استعمال أكثر من كلمة لكي ينقل المعنى الذي يدل على الكلمة الواحدة المراد ترجمتها. وهذا هو ما يعرف بمشكلة المقابلات المعجمية التي لا نظير لها في اللغة الهدف (الضالع، 2008، 78).

وفي إطار الترجمة من لغة إلى أخرى interlingual translation، يمكن التمييز بصفة عامة بين قسمين أساسيين:

١- الترجمة التحريرية Written Translation:

وهي التي تتم كتابة. وعلى الرغم مما يعتبره الكثيرون من أنها أسهل نوعي الترجمة، إذ لا تتقيد بزمن معين يجب أن تتم خلاله، إلا أنها تعد في نفس الوقت من أكثر أنواع الترجمة صعوبة، حيث يجب على المترجم أن يلتزم التزاما دقيقا وتاما بنفس أسلوب النص الأصلي، وإلا تعرض للانتقاد الشديد في حالة الوقوع في خطأ ما.

٢- الترجمة الشفهية Oral Interpretation:

وتتركز صعوبتها في أنها تتقيد بزمن معين، وهو الزمن الذي تقال فيه الرسالة الأصلية. إذ يبدأ دور المترجم بعد الانتهاء من إلقاء هذه الرسالة أو أثنائه. ولكنها لا تلتزم بنفس الدقة ومحاولة الالتزام بنفس أسلوب النص الأصلي، بل يكون على المترجم الاكتفاء بنقل فحوى أو محتوى هذه الرسالة فقط.

وتنقسم الترجمة الشفهية إلى عدة أنواع:

أ- الترجمة المنظورة At-Sight Interpreting:

أو الترجمة بمجرد النظر. وتتم بأن يقرأ المترجم نص الرسالة المكتوبة باللغة المصدر SL بعينيه، ثم يترجمها في عقله، ليبدأ بعد ذلك في ترجمتها إلى اللغة المنقول إليها TL بشفتيه.

ب - الترجمة التتبعية Consecutive Interpreting:

وتحدث بأن يكون هناك اجتماعا بين مجموعتين تتحدث كل مجموعة بلغة مختلفة عن لغة المجموعة الأخرى. ويبدأ أحد أفراد المجموعة الأولى في إلقاء رسالة معينة، ثم ينقلها المترجم إلى لغة المجموعة الأخرى لكي ترد عليها المجموعة الأخيرة برسالة أخرى، ثم ينقلها المترجم إلى المجموعة الأولى. .. وهكذا.

ومن الصعوبات التي يجب التغلب عليها في الترجمة التتبعية، مشكلة الاستماع ثم الفهم الجيد للنص من منظور اللغة المصدر نفسها. ولذلك فيجب العمل على تنشيط الذاكرة لاسترجاع أكبر قدر ممكن من الرسالة التي تم الاستماع إليها.

ج- الترجمة الفورية Simultaneous Interpreting:

وتحدث في بعض المؤتمرات المحلية أو المؤتمرات الدولية، حيث يكون هناك متحدث أو مجموعة من المتحدثين بلغة أخرى عن لغة الحضور. ويبدأ المتحدث في إلقاء رسالته بلغته المصدر SL ليقوم المترجم بترجمتها في نفس الوقت إلى لغة الحضور TL.

وقد تحدثنا فيما سبق عن دور المترجم الذي يلعبه أثناء ممارسته للترجمة التحريرية. ويمكن هنا أن نلقي بعض الضوء على المتطلبات الواجب توافرها في المترجمين الذين يقومون بالترجمة الفورية.

فيجب أن يتصف المترجم الفوري بصفات معينة، من أهمها القدرة على سرعة الرد quick response والقدرة على التركيز concentration والتمتع بقدر كبير من هدوء الأعصاب relaxation والقدرة على الاستمرار في الترجمة لمدة طويلة consistence بالإضافة إلى الإلمام بحصيلة كبيرة من المفردات اللغوية vocabulary. ويلاحظ أن حوالي ثلث الترجمة الفورية تعتمد على الثقة بالنفس self-confidence.

وهناك صعوبات كبيرة تواجه المترجم الفوري، لعل من أهمها في الترجمة من العربية إلى الإنجليزية ما يتمثل في تأخر الصفة على الموصوف، ذلك أنه في اللغة الإنجليزية لابد أن تتقدم الصفة على الموصوف. ومثال ذلك، فالعربية تقول مثلا: الرجل الكبير. والمترجم الفوري لن يستطيع الانتظار حتى يسمع بقية الجملة كلها ثم يبدأ في الترجمة، فهو يقوم بالترجمة أولا بأول.

ومن الصعوبات التي تواجهه أيضا في هذا الصدد، تأخر الفاعل في الجملة الفعلية. فيقال مثلا: لا يلبث أن ينكشف زيفه. ومن المعلوم أن الجملة الإنجليزية تبدأ بالفاعل. .. وهكذا (يوسف، 2006، 50).

خامساً: صفات المترجم الناجح (مؤمن، 2004، 9):

١. إجادة اللغة التي ينقل منها واللغة التي ينقل إليها، وأيضاً لقواعد اللغتين والبلاغة والبيان فيهما.
٢. معرفة المصطلحات المتخصصة التي تستخدم في المجالات التي يعمل فيها، وأيضاً بأكبر قدر من المفردات المستخدمة في هذه المجالات.
٣. أن يكون أميناً في نقله للمعاني والأفكار التي ترد في النص الأصلي.
٤. أن يكون صبوراً، وألا تدفعه الرغبة في إنهاء أعماله بسرعة إلى أن يُهمِل حُسن الصياغة أو المراجعة أو استخدام المعاجم والمراجع.
٥. ويجب أن يكون المترجم واسع الإطلاع، ذا ثقافة عالية، ومتابعاً للأحداث العالمية أولاً بأول، وهذا هو أول ما يساعده في التعرف على كل ما يستجد من تعبيرات.
٦. المعرفة التامة للغة التي ينقل منها واللغة التي ينقل إليها.
٧. الكفاءة اللغوية في اللغة الأم واللغة المترجمة إليها (هذا الأفضل وإن لم يكن فعليه أن يترجم من لغة إلى اللغة الأم لأنه يكون أكثر دراية واطلاع بها).
٨. الدراية الكاملة باللغة الأصلية واللغة المترجم إليها وأسرارهما البلاغية والجمالية من حيث بيانهما للمعاني.
٩. الإلمام بحصيلة كبيرة من المفردات اللغوية لإثراء خبرته اللغوية.
١٠. مراعاة موضوع اللهجات والفروق الثقافية والاجتماعية والنفسية.
١١. أن يكون كثير القراءة واسع الاطلاع.
١٢. المعرفة التامة للمادة المترجمة والإلمام بموضوعها.
١٣. فهم المترجم للنص الأصلي وليس معناه فحسب.
١٤. توفر الأدوات التي تساعده في الترجمة (كالقواميس، والمعاجم، والكتب المتخصصة في موضوع المادة المترجمة، علاقات مع مترجمين آخرين).
١٥. القدرة على الاستفادة المثلى من الوسائل التقنية المتاحة.

١٦. مراعاة مستوى المتلقي للترجمة. (فمثلاً إذا كان المترجم يترجم نصاً حديثياً أو فقهياً وكان النص موجهاً لاجتماع يحضره علماء وطلاب العلم الشرعي فعليه أن يتحرى المصطلحات الشرعية الدقيقة لأنه سيلقى من يفهم ترجمته بل ويستحسنها. ولكن إن كان المترجم يترجم لمجموعة من الناس ليس لها نصيب من علم الحديث أو الفقه، يتعين عليه أن ينتقي المترادفات التي تفيد المعنى بالطريقة التي يفهم بها العوام، بل عليه أحياناً أن يبحث عن كلمات مرادفة في اللغة الدارجة التي تتحدث بها تلك المجموعة من الناس وإلا فسيكون مثل من فسر الماءَ بعد جهد بالماءِ) (سمية غلام، د.ت، ٦، ٧).

١٧. القدرة على سرعة الرد.

١٨. القدرة على التركيز.

١٩. القدرة على الاستمرار في الترجمة لمدة طويلة.

٢٠. التمتع بقدر كبير من هدوء الأعصاب لا سيما في الترجمة الشرعية الدينية وخاصة إذا كان المترجم يترجم كلام الداعي كأمر بالمعروف أو نهي عن منكر أو دحض لبدعة فإن المترجم الديني لا بد أن يتصف بصفات الداعية ومنها ما جاء في قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) سورة النحل آية رقم - ١٢٥-.

٢١. الثقة بالنفس.

سادساً: دور المترجم في عملية الترجمة:

ينبغي أن تتوافر في المترجم مجموعة من الشروط، ومن أهمها ما يلي: (نيومارك، ١٢٧، ١٢٨، ونيدا، ٢٢٩، ٢٣٠.(

ضرورة إتقان اللغتين المصدر والهدف إتقاناً تاماً، بل ويرون أن المترجم يقوم بدور الوكيل للمؤلف. حيث أن الجهل باللغتين أو إحداهما - حتى ولو في بعض جوانبهما – سبباً من أسباب سوء الترجمات بما يؤدي إلى فقدان المعنى والمذاق الخاصين بالنص الأصلي .

إلا أنه لا يكفي المترجم أن يفهم (المغزى العام) للمعنى، أو أن يكون ماهراً في استشارة القواميس التي تعينه على عمله، وإنما عليه أن يفهم المحتوى الواضح للرسالة، بالإضافة إلى فهمه للجوانب الدقيقة الحساسة للمعنى، والقيم الانفعالية السلوكية المهمة للكلمات، والخصائص الأسلوبية التي تحدد نكهة الرسالة وإحساسها، أي أن يكون على معرفة وثيقة ومؤكدة بموارد لغة المصدر .

أما بالنسبة للغة الهدف، فعلى المترجم أن يعي تماماً لغة المتلقي، فكما يقال: "على المترجم الممتاز أن يعرف تمام المعرفة لغة المؤلف الذي ينقل عنه وأن يعرف أكثر أيضاً لغته الخاصة به، أي ليس فقط أن يكون قادراً على الكتابة في لغته بطريقة صحيحة، ولكن أن يدرك دقائقها وطواعياتها وكنوزها المحجوبة". أي إن السيطرة التامة على لغة المتلقي والتمكن الكامل منها ليس له بديل. ذلك أن أغلب الأخطاء المتعددة والخطيرة – التي يقع فيها المترجمون – تنشأ في المقام الأول من افتقارهم إلى المعرفة الشاملة بلغة التلقي. فعلى المترجم ألا يتقن اللغة فقط كرموز لغوية، بل وأن ينظم الرموز اللغوية أثناء الترجمة بالصيغة التي تتطلبها اللغة المتلقية .

ومن خلال الحرص على إتقان المترجم للغة المتلقي، نشأت قضية انتقاء اللفظ المعبر في الترجمة. حيث تبدأ مرحلة انتقاء اللفظ الملائم بعد تمام فهم النص، وما انفك النقاد والمترجمون يؤكدون ويدعون إلى حسن انتقاء الألفاظ في الترجمة. فاعتبرها البعض منهم أنها العبء الذي يثقل كاهل المترجم؛ لأن هذا الاختيار يعتمد على فهم النص المصدر وفهم روحه، كما أنه يعتمد على مدى إحساس المترجم وتذوقه لجمال اللفظ، وعدم مجافاتها للذوق أو للعرف، وسهولتها في الاستخدام .

وقد حدث انقسام في الآراء حول شيوع اللفظ وسهولة استخدامه. فقد نادى البعض باستخدام الألفاظ النادرة الشاذة منكراً على المترجم استخدامه للأسلوب التقليدي والكلمات المعتادة الشائعة، ممتدحاً الميل نحو ما هو شاذ وغريب ونادر .

في حين يرى آخرون أن الإيغال في استخدام الألفاظ المعجمية المبهمة – والذي قد يصل إلى حد المباهاة بمعرفة الغريب من اللفظ – يفسد الترجمة بلا شك.

وبالتالي فعلى المترجم أن يراعي استخداماته اللغوية، واضعاً أمام عينيه قارئ الترجمة، فيميل نحو اللفظ السهل والواضح والشائع في الاستخدام، مبتعداً عن الغريب والشاذ في لغة المتلقي. واعياً تمام الوعي بمدى التداخل اللغوي لديه بين لغة المصدر ولغة المتلقي، مع مراعاة نوعية النص دائماً. فالنص الذي دون في فترة تاريخية قديمة حينما يتم نقله إلى لغة أخرى- يجب على المترجم أن يراعي تاريخية اللفظ المستخدم، وكذلك الأسلوب محاولاً الاقتراب بترجمته قدر الإمكان من الأصل. واضعاً الهوامش الموضحة لما هو غريب منها على المتلقي؛ لخلق تأثير مقابل ومشابه دون الإخلال بانتقاء اللفظ أو بالأسلوب القديم.

أما بالنسبة للتداخل اللغوي لديه واستخدامه للألفاظ الأجنبية، فعليه أن يقتفي أثر المؤلف. فإذا كان المؤلف مغرماً بذلك في لغته الأصلية، فعلى المترجم أن يسعى سعيه. وأما إذا كان المؤلف يلتزم بذخيرته وثروته اللغوية الأصلية، فعلى المترجم ألا يسعى إلا لما سعى إليه المؤلف، وأن يلتزم بالثروة اللفظية للمتلقي طالما أنها تفي باحتياجات اللغة المصدر.

وإزاء المنادة باستخدام الغريب من الألفاظ أو إدخال الألفاظ الأجنبية إلى اللغة الهدف بات من المنطقي الدعوة إلى أن من يقوم بالترجمة يجب أن يكون من أبناء اللغة المنقول إليها، وخاصة في مجال الأدب، لأنه في هذه الحالة سيكون أعرف بلغة قومه، وأكثر فهماً لدقائقها وأسرارها، ومدخلها، ومزالقها. وأبرز مثال على ذلك ما قامت به (كونستانس جارنت) حينما ترجمت روائع (تولستوى) و(ديستوفسكي) إلى اللغة الإنجليزية. وهو ما فشل فيه المترجمون الروس حينما حاولوا نقل هذه الأعمال إلى اللغة الإنجليزية. ولكن مثل هذا الرأي يلقي ظلاً من الشك لدى (نيدا) الذي يعتقد أن المترجم الذي يجيد لغة المصدر واللغة الهدف إجادة تامة، وأن يترجم إلى لغته الأم، كل ذلك من الأمور المثالية؛ إذ أن هذه الحلول نادراً ما تتحقق. ذلك أن علاقة المترجم باللغة المصدر، واللغة الهدف علاقة متغيرة حسب إمكانية ودرجة تمكنه منهما. فيمكن أن يقوم المترجم بالنقل من لغته الأم إلى اللغة التي تعلمها، أو أن ينقل من اللغة التي تعلمها إلى لغته الأم – وهذه هي مثالية (نيدا) – أو أن ينقل من لغته الأم الأولى إلى لغته الأم الثانية إذا كان مزدوج اللغة بالتأكيد، وهذا الوضع الأكثر مثالية من وضع (نيدا).

كما أن بإمكان المترجم النقل من لغتين قد تعلمها وهو وضع صعب يخلق الكثير من المشاكل بالنسبة للمترجم بصفة عامة.

وبالتالي فهناك مستويات متنوعة من الحلول الوسط التي يكيف فيها دور المترجم بمختلف الطرق إلى اللغات المعينة، ولعل أحد هذه الحلول الوسط هو أن يضطلع بالعمل الترجمي اثنان من المترجمين أحدهما ينتمي إلى اللغة المصدر، والآخر إلى متحدثي اللغة الهدف، وأن يكون كلاهما على معرفة جيدة بلغة الآخر، حيث يتسنى لهما نقل العمل المترجم نقلاً محكماً دون شطط أو انحراف عن القواعد العامة.

وبصورة عامة، يجب على المترجم أن يحرص على لغة الترجمة حية دائماً، وأن يراعي فيها عنصر التطور، فلا يترجم ما هو مكتوب – كما سبقت الإشارة – في القرن العشرين بلغة القرن الحادي عشر أو العكس. وأن يلتزم العصر الذي يترجم في إطاره حتى تكون الترجمة مفهومة لدى المتلقي، وحتى لا يعد المترجم خائناً بمقياس العصر الذي تمت فيه صياغة النص المصدر. فعلى سبيل المثال: إذا وقعت لفظة (الأب) في نص يوناني قديم فكيف يمكن ترجمته بهذا

المفهوم؟ فالأب اليوناني كان بإمكانه التصرف في أبنائه كيفما شاء، بل وحتى بيع أحدهم إن أراد ذلك، فهل هذا المفهوم يمكن أن يحمله لفظ الأب في العصر الحديث؟

وعليه فإننا نؤكد على احترام المترجم لتاريخية لغة الأصل إن وجدت، ولوضح اللغة وسهولتها، وسلاسة ألفاظها.

ويجب أن يعي المترجم أن الألفاظ تتفاوت في معانيها، وتختلف بين اللغات؛ نتيجة عدد من العوامل وهي:

١. البيئة وما يرتبط بها من ألفاظ: كالنباتات، والحيوانات، والرياح، والأمطار، والسيول، والعواصف، والجبال، والسهول.
٢. الثقافة المادية: كالمصنوعات، والملابس، والأطعمة، والمنازل، والمدن، ووسائل النقل.
٣. الثقافة الاجتماعية: كالعمل، وأنواع الرتب، وأوقات الفراغ.
٤. الأعراف، والمنظمات، والنشاطات، والمفاهيم، والإجراءات، سواء أكانت سياسية، أم دينية، أم فنية، وكذا العادات والإيحاءات.

فمن الصعب إيجاد مقابلات ترجمية في كل اللغات للفظ معين في العربية مثلاً، كلفظ المدرار أو الغمام، وغيرها من الألفاظ التي تخص لغة دون أخرى.

وفي ضوء ما سبق، يمكننا تقسيم – الألفاظ – على المستوى الأساسي للتحليل – إلى:

١. المصطلحات اللغوية التي لها مفردات لغوية مطابقة متوفرة بيسر، نحو: النهر الشجرة، البئر، الحجر، السكين.
٢. المصطلحات اللغوية التي تعين هوية الأشياء، والمختلفة فيما بينها ثقافياً، ولكنها تشترك في الوظيفة إلى حد ما، مثل: الكتاب، والتي كانت تعني قديماً ما دون على الرق أو البردي، ثم تطورت الآن لتدل على شيء مطبوع يجمع عدداً من المعلومات بين دفتيه.
٣. المصطلحات اللغوية التي تعين الهوية والخصوصية الثقافية، نحو: معبد، مسجد هيكل، كعبة، كنيسة.

المحور الثاني: تطور حركة الترجمة في العصرين الأموي والعباسي:

من الأسباب المهمة في انطلاق حركة الترجمة وصول العباسيين في السلطة وبناءهم لمدينة بغداد، إذ قام في بغداد مجتمع متعدد الثقافات أساسه المزيج السكاني المختلف ديموغرافيا في العراق الذي تألف من مسيحيين ويهود ناطقين بالآرامية،وكانوا يشكلون أكثر السكان المستقرين ومن ناطقين بالفارسية الذين وكانوا يتمركزون في المدن، وكذلك العرب المسحيين الذي كانوا مستقرين مثل سكان الحيرة على الفرات، وغيرها من الإثنيات (معن المقابلة، ٢٠٠٩، ٥).

وقد مزج هذا الخليط الثقافي والاثني في بوتقة واحدة رعتها النخبة السياسية العباسية وقدمت لها الحماية، مما أدى إلى خلق ثقافة جديدة. نظرت إلى التراث الضخم للحضارات السابقة نظرة ايجابية فأخذت تنهل من هذا الإرث الضخم في أكبر وأطول حركة ترجمة عرفها التاريخ. وإذا كان للخلفاء العباسيين كما يرى كثير من الباحثين الدور الرئيسي في إطلاق حركة الترجمة وبخاصة الخليفة أبو جعفر المنصور والتي تتحدث كتب التاريخ أنه أمر بإحضار بعض كتب الطب لترجمتها مع استدعاء بعض الأطباء من جند يسابور لمداويته من علة أصابته، ومع اتفاقنا من أن الخليفة المنصور كان له قصب السبق في إطلاق هذه الحركة إلا أننا لا نتفق مع السبب الذي جعل الخليفة يتبنى هذه الحركة فحركة بهذا الشمول والتي امتدت بعده أكثر من قرنين لا يعقل أن تكون حركتها حاجة محددة لدى الخليفة، أضف إلى ذلك أن المنصور أمر بترجمة بعض الكتب في المجالات الأخرى غير الطب (غوتاس، ٢٠٠٣، ٥٥، ٥٦).

إن هذا الأمر يتفق وفلسفة المنصور في إدارة الدولة فمن المعروف أن المنصور كان يهتم بدقائق الأمور في إدارة الدولة وعرف عنه متابعته الحثيثة وبشكل شخصي لكل شاردة وواردة في الدول، ويتفق كثير ممن الباحثين أن المنصور رجل دولة من الطراز الأول ويعد المؤسس الحقيقي

للدولة العباسية فقد رأى أن الانفتاح على تراث الأمم السابقة والتي ورثتها الدولة العباسية ضرورة للدولة الناشئة، ولدينا نص في غاية الأهمية يقدمه لنا الإخباري محمد بن علي العبدي الخراساني يؤكد ما ذهبنا إليه، يقول الإخباري: " وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية منها: كتاب كليلية ودمنه وكتاب السندهند وترجمت له كتب أرسطاليس من المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب الارتماطيقي كتاب إقليدس، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية وأخرجت إلى الناس فنظروا فيها وتعلقوا إلى عملها" (المسعودي، ٢٠٠٣، ٥٢٥).

هذا النص قدمه الإخباري للخليفة القاهر ٣٢٠-٣٢٢ هـ عندما طلب الأخير منه أن يقدم له أخبار خلفاء بني العباس من السفاح حتى عهده. من هذا النص يتبن أمرين مهمين الأول فعلى الرغم من أن عصر الخليفة المنصور قد طغى عليه اهتمام المنصور بتوطيد أركان الدولة وتخليصها من أعدائها إلى جانب بناء مدينة بغداد إلا أن الإخباري يضيف تدشينه لحركة الترجمة، وهذا ما جعل الإخباري السالف الذكر أن يجعل من هذا الأمر عنوان حديثه عن المنصور للخليفة القاهر. أما الأمر الثاني تنوع الكتب المترجمة بين الأدب (كليلة ودمنة) والفلك (السندهند) والفلسفة المتمثلة في الكتب اليونانية إلى جانب تنوع مصادر هذه الكتب (يونانية ورومية وفارسية وسريانية. . الخ) مما يدل على أن المنصور كان مدركا لأهمية ترجمة تراث الأمم السابقة كما أن استمرار خلفاء المنصور في عملية الترجمة تدل على سياسة دولة وليس سياسة شخص تنتهي بوفاته، ثم أصبحت حركة الترجمة ثقافة عامة للمجتمع تبنتها إلى جانب النخبة السياسية ممثلة بالأسرة العباسية ووزرائهم والنخب الأخرى من اجتماعية وثقافية واقتصادية.

وهناك حاجة أخرى بدأت تظهر في العصر العباسي وهي الانفتاح على مواطني الدولة المختلفين في العقيدة من خلال مجالس المناظرات والجدل والتي رأى بعض الخلفاء الحاجة إلى ترجمة بعض كتب الفلسفة اليونانية لصقل قدراتهم بفن المناظرة والمجادلة والحوار والتي بدأت تظهر في عهد الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٥٤-٧٧٥م) ومن هذه الكتب كتاب المقولات لأرسطو وعلى ما يبدو أن المهدي اهتم اهتماما خاصا بهذا الأمر فقد قرأ هذا الكتاب ودخل في حوار مع بعض رجال الدين المسيحي من باب الدفاع عن الإسلام ومعرفة عقيدة وفكر الآخر الذين يعيشون في كنف الدولة وينتمون بالمواطنة إليها. فقد دخل في حوار من الجاثليق مستخدما أدوات وفن الحوار الذي تعلمها من كتاب المقولات لأرسطو، وبعيدا عن مادة الحوار، فإن اللافت للنظر أن المهدي تعامل مع الآخر في الدولة على مبدأ الحوار والتواصل على اعتبار أنهم مواطني الدولة وان اختلفوا في الدين فكان مثالا رائعا على التواصل مع الآخر الذي يعيش في كنف الدولي ويشكل جزء لا يتجزأ منها وأن اختلف في العقيدة (غوتاس، ٢٠٠٣، ١٩٠).

ونجد التواصل الثقافي في أبهى صورة قد تمثل في التقاء الحضارة الإسلامية بالحضارة الفارسية، فبعد انتقال الخلافة العباسية إلى العراق وقبل ذلك الدور إلي لعبه الفرس في قيام الدولة العباسية حدث التقاء وامتزاج بين هاتين الحضارتين تجلى في أكثر من صعيد كان من أهمها الأثر الكبير الذي أحدثته اللغة العربية باللغة الفارسية، فعلى الرغم من أن اللغتين لا ينتميان إلى أصل واحد فاللغة الفارسية تعود أصولها إلى مجموعة اللغات الآرية أو الهندية- أوروبية، أما اللغة العربية فهي إحدى اللغات السامية (غوتاس، ٢٠٠٣، ١٩٠).

وعلى الرغم من هذا الاختلاف الجوهري بين اللغتين إلا أنه لم يحل دون تأثر إحداهما بالأخرى، وان كان أثر اللغة العربية في اللغة الفارسية أكثر وذاك كونها لغة الدين الذي أقبل عليه أهل فارس واعتنقته أعداد كبيرة منهم، كما أصبحت العربية لغة الثقافة والفكر والمتتبع لأثر اللغة العربية في اللغة الفارسية يجد أعدادا لا تحصى من المفردات العربية التي أصبحت جزءا لا يتجزأ من اللغة الفارسية وخاصة منها المتصل بالإسلام والحياة الإسلامية مثل صلاة، زكاة، حج، مسلم، جهاد. .. الخ وبعد أن دخلت المناطق الفارسية في كنف الدولة الإسلامية دخلت ألفاظ ومفردات

ارتبطت بالحياة السياسة والإدارية، فمن المعروف أن المسلمين أبقوا على النظم المالية والإدارية في المناطق المفتوحة، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل نجد التأثير يصل إلى قواعد الفارسية نفسها كالروابط مثل حروف الجر وأسماء الإشارة وحروف النداء والتنبيه واستعمال المفعول المطلق في مجال التأكيد، وتقيد الجمل العربية في التقديم والتأخير وغيرها (فكتور، ٢٠٠٨، ٨).

كما أخذت الفارسية من العلوم العربية أوزان الشعر وعلم القوافي، كما وضعت المعاجم الفارسية على أسلوب المعاجم العربية (فكتور، ٢٠٠٨، ٩).

إلا أن أهم مظهر من مظاهر تأثر اللغة الفارسية باللغة العربية وهو مثال واضح على التواصل الثقافي بين الحضارتين واللغتين اتخاذ اللغة الفارسية للأحرف العربية أداة للكتابة، وكان من أهم الأسباب التي دفعتهم لاتخاذ مثل هذه الخطوة الأعداد الكبيرة التي دخلت منهم في الإسلام مما دفعهم لتعلم اللغة العربية لفهم أمور دينهم وأخذوا تدريجيا التخلي عن لغتهم الأم، فطيلة القرنين الأول والثاني الهجريين أصبحت اللغة العربية هي اللغة المستخدمة في بلاد فارس (فكتور، ٢٠٠٨، ٩) وبعد أن ضعفت الخلافة العباسية وتراجع نفوذها في الأقاليم البعيدة عن العاصمة بغداد قامت بعض الدول التي انفصلت سياسيا عن الخلافة ودخلت في حالة شد وجذب مع الخلافة في كالدولتين الصفارية والسامانية (ابن الأثير، ١٩٨٧، ٧).

ويمكن القول بأن حركة الترجمة إلى العربية أخذت تتسع وتزداد قوة في العصر العباسي بفضل ما يلي (المخلفي، ٢٠١٣، ٢٠، ٢١):

١. تشجيع الخلفاء العباسيين ورعايتهم لهم وقد فتحوا بغداد أمام العلماء وأجزلوا لهم العطاء وأضفوا عليهم ضروب التشريف والتشجيع بصرف النظر عن مللهم وعقائدهم. في حين أن حركة الترجمة في العصر الأموي كانت محاولات فردية لا يلبث أن تذبل بزوال الأفراد.
٢. غدت ركنا من أركان سياسة الدولة فلم يعد جهد فردي سرعان ما يزول بزوال الأفراد سواء حكام أو غير ذلك بل أصبح أمرا من أمور الدولة وركنا من أركانها.

وفي حين أن الترجمة في العصر الأموي اقتصرت على الكيمياء والفلك والطب، نجد انه في العصر العباسي صارت أوسع نطاقا بحيث شملت الفلسفة والمنطق والعلوم التجريبية والكتب الأدبية.

المحور الثالث: القوى والعوامل المؤثرة على حركة الترجمة في العصرين الأموي والعباسي:

ظلت الحضارة الإسلامية لفترة ثمانية قرون تقريباً "الحضارة ذات السطوع الأكبر في أقطار العالم القديم ... غير أن تاريخ الفكر والفنون لا يمكن أن يفسر وحدة تلك الفترة العظيمة التي عاشها الإسلام، حيث تتضح في مضمون التاريخ العام صورتها الحقيقية" (فرناند، ١٩٩٩، ٨٣).

ولم تكن لتتأتى تلك الحركة العلمية والحضارية من فراغ، وإنما دعم قيامها، وكفل لها حيويتها وبقاءها عوامل كثيرة.

ويمكن تناول هذه العوامل كما يلي:

١- عوامل دينية:

أ - تقدير الدين الإسلامي للعلم والعلماء، حيث رفع الدين الحنيف شأن العلم، وحث على طلبه في مواضع كثيرة من القرآن والسنة، قال الله تعالى: "يرفع الله الذين آمنوا منكم، والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة)، كما حث الرسول الكريم في أحاديثه على ذلك أيضاً في نحو قوله: "لغدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة". وانطلاقاً من هذا التأييد والتقدير، انطلق المسلمون في طلب العلم على اختلاف مقاصده، سواء كان دينياً أو دنيوياً.

ب – الفهم الواعي والدقيق لمبادئ وتشريعات الدين الإسلامي، خاصة من جانب العلماء، والذين انطلقوا في "طمأنينة واثقة من تأييد العقيدة الإسلامية للعلم والعلماء، وتمجيدها للعقل"، انطليتنا ولون الظواهر الكونية والعلوم الأساسية بعقلية متحررة من الخصومة العتيقة بين

العلم والدين، ولم يمض قرن على تعريب التراث القديم حتى قدم هؤلاء العلماء، جديداً وأصيلاً في العلوم الطبيعية والرياضية، والطبية (عبد الرحمن، ١٩٩١، ١٣١).

جـ - تقدير الدين الإسلامي للغة العربية، ونزول الوحي المعجز وهو القرآن الكريم بهذا اللسان العربي المبين، ولذلك قدر المسلمون اللغة العربية، وصنفوا العلوم المختلفة التي تنظم قواعدها، وتضبط التعامل مع مهاراتها، وفنونها، ولعل هذا التقدير للغة العربية هو الذي شجع حكام المسلمين وعلماءهم على ضرورة نقل وترجمة العلوم المختلفة إلى اللغة العربية، ولم يكفروا أبداً في نقل العلوم المختلفة بلغات أهلها الأصلية "كاليونانية، والفارسية، والهندية. .." أو الاستفادة منها وهي مدونة بلغاتها الأصلية، وإنما شجعوا العلماء والمترجمين المتقنين للغتين المترجم منها وإليها على نقل العلم وترجمته إلى اللغة العربية التي هي قوام الثقافة العربية والإسلامية.

١- عوامل سياسية:

أ - الاستقرار السياسي الذي تميزت به ولايات الدولة الإسلامية – إلى حد كبير – والذي أتاح بدوره للخلفاء والعلماء توجيه اهتماماتهم نحو المجالات العلمية والأدبية، كما أتاح لهم الاطلاع على ثقافات وعلوم مختلف الأمم والحضارات.

ب – الإيمان العميق من جانب الحكام، وولاة أمور المسلمين بأن طلب العلم، وتشجيع العلماء، واجب ديني ومطلب حضاري ينبغي دعمه وتأييد القائمين عليه.

جـ - اهتمام الخلفاء ورعايتهم للعلماء والمترجمين، واعتماد سياسة تحويل الترجمة لتصبح حركة أمة ومظهراً من مظاهر التقدم الحضاري والثقافي.

د - "الاعتقاد السائد لدى الخلفاء بأنهم حماة للعلم، ورعاة للعلماء، وكانوا يرون أن قصورهم ينبغي أن تكون مراكز علمية تشع منها الثقافة، وتكون ملتقى للعلماء والأدباء، وقد ذكر "أن الخليفة المعتضد بالله" خصص في قصره دوراً ومساكن يرتب فيها أئمة كل صناعة، وإمام كل مذهب وعلم، ويجرى عليهم الأرزاق، وذلك لتكون هذه المساكن الخاصة بالعلماء مثابة لكل طالب علم أو صناعة" (منتصر، ١٩٩٦، ٣٧). كما أن الخلفاء أنفسهم كان معظمهم علماء أحبوا العلم وأهله.

هـ - تشييد الخلفاء لـ "دار الحكمة" الذي تشكلت نواته الأولى في عهد المنصور، وتوسع فيه في عهد "الرشيد" وارتقى ارتقاءً عظيماً في عهد المأمون، وتعد هذه الدار مركزاً حضارياً وثقافياً، يحوي أفضل المترجمين ويرصد مقدار ما وصلت إله الترجمة، خاصة في عهد المأمون، حتى يقال "أنه جعل من شروط الصلح مع أعدائه أن يزودوه بما لديهم من كتب. ..، فقد تصالح المأمون مع "الإمبراطور البيزنطي "ميخائيل الثالث"، على أن يتنازل الأخير عن إحدى المكتبات الشهيرة في حاضرتهم "القسطنطينية" (النملة، ١٩٩١، ٥٦٠).

و - انتشار قيم سياسية وعلمية ساعدت على تنشيط الترجمة، وطلب العلم مثل: كفالة الخلفاء لحرية الفكر، وحرية التعبير، وتقدير المبدعين والمتميزين، وإجزال العطايا المادية والمعنوية، تقديراً لجهودهم، مما أشاع أجواء الحرية والتنافس المحموم بين العلماء والأدباء.

٣- عوامل اقتصادية:

مما لا شك فيه أن حركة الترجمة وتعريب العلوم في عصر النهضة الإسلامية تطلبت دعماً مادياً واقتصادياً كبيراً، كي يدعم انطلاقتها، وينهض بمسيرتها، ويجود إنتاجها، ويحفظ لها مقومات نشاطها وبقائها.

وقد استند تحقيق تلك النهضة الحضارية والعلمية في هذا العصر، إلى الكثير من الموارد الاقتصادية للدولة الإسلامية، "حيث هيأ الاستقرار الداخلي للإمبراطورية الإسلامية، مع الهدوء النسبي على الجبهة الخارجية – الأجواء – لبناء اقتصاد قوي متعدد المصادر، وتنامي فيه بشكل كبير حركة تجارية رائجة، بفضل ما لدى المسلمين من منتجات زراعية يستهلك بعضها محلياً،

والبعض الباقي يصدر للدور المستوردة، خاصة التمور والتي حقت رواجاً اقتصادياً كبيراً. ..، مما أدى بدوره إلى ازدهار العديد من الصناعات التي تطورت وحققت رواجاً كبيراً، كصناعات "الحديد، والأخشاب، والمنسوجات القطنية والكتانية، ولعل سجاجيد بخاري" الإسلامية ذات الشهرة العالمية أعظم دليل على ذلك (فرناند، ١٩٩١، ٨٤، ٨٥).

ولعل هذا الازدهار الاقتصادي، هو الذي أثرى المجهودات العلمية، وحركات الترجمة المنظمة، الواضحة الأهداف، كما يفسر كذلك المبررات التي أعزت "الخليفة العباسي المأمون" على إجزال العطايا للمترجمين، حيث كان "حنين بن إسحاق" يمنح على الكتاب المترجم مقدار وزنه ذهباً، ومن فرط جشعه كان يكتب ترجماته على ورق سميك ثقيل الوزن، ويكبر الحروف، ويوسع ما بين الأسطر حتى تعظم مكافأته (الطويل، ١٩٨٥، ٨٩).

إن هذا الموقف وغيره ليؤكد مقدار الدعم المادي الذي اقتضه تلك الحركة العلمية والثقافية حتى تؤتى ثمارها المرجوة في تقدم الأمة وتحضرها، ويؤكد من جهة أخرى قوة دوافع الخلفاء وإيمانهم العميق بضرورة تحقيق النهضة العلمية والفكرية والتي يعد النهوض بها من أهم سمات الأمم المتحضرة.

٤- عوامل تربوية وتعليمية:

لا شك أن الدين الإسلامي قد رفع شأن العلم، وقدر العلماء، كما حث على طلب العلم، وأهمية الاطلاع على ثقافات الآخرين، وانطلق المسلمون مهتدين بهذا التأييد الديني والتقدير الإنساني إلى ساحات العلم الرحبة، فدونوا القرآن، وعلوم الحديث، وصنفوا في علوم تحفظ للغة العربية نضارتها، خاصة بعد زيادة اختلاط العرب بغيرهم من الأمم، كما اتجه المسلمون إلى العلوم الدنيوية النافعة التي تنظم شئون حياتهم، وتثري تقدمهم العلمي والحضاري، فاطلعوا على ثقافات الأمم الأخرى، واهتموا بما ينفعهم – في بداية أمرهم – كعلوم الطب، والكيمياء، والرياضيات، والطبيعة، وأقبل العلماء على الترجمة والتعريب، واستقبلوا علوم الآخرين بعقلية مستنيرة ناقدة، وبصيرة نافذة مبدعة.

ويمكن تحديد هذه العوامل كما يلي: (النملة، ١٩٩١، ٥٣٤)، (منتصر، ١٩٩٦، ٣٩)

أ - لقد حرص المسلمون على تلقي العلوم في مختلف الأماكن مثل: المساجد، ومنازل العلماء، والمكتبات، وذلك تلبية لرغبة طلاب العلم في تلقي المعرفة، والعلم النافع، ثم أنشئت المدارس، وكانت أول الأمر لتعليم العلوم الدينية، ثم عرفت العلوم الدنيوية طريقها إلى المدارس خاصة في عهد الخليفة "المستنصر" الذي أمر بأن يعين طبيب حاذق بالمدرسة المستنصرية، يفد إليه الطلاب الذين يرغبون في الاشتغال في علوم الطب.

ب – عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية، وعظم اختلاط المسلمين بالفرس والروم والهنود. .، كثر النقاش والجدل حول الإله وأسمائه وصفاته، فاعتمد علماء العقيدة على بعض الأساليب المنطقية والفلسفية ساعدتهم في الذود عن عقيدتهم، والدفاع عن مبادئها، وخاصة في ظل اعتماد خصومهم على مبادئ المنطق اليوناني، والفلسفة الأرسطية، مما دفع علماء الكلام إلى دراسة بعض العلوم الفلسفية العقلية (كالمنطق والفلسفة، والحكمة وعلم الكلام)، والتي لم يكن للعرب والمسلمين عهد بها من قبل.

جـ - كما أسهم إقامة المنتديات الفكرية في قصور الخلفاء والأمراء، - والتي كانت مراكز إشعاع ثقافي وعلمي – في دعم الحركة العلمية والفكرية، حيث كانت تعد ملتقى خصباً لتناول الكثير من القضايا الدينية واللغوية والأدبية والعلمية، كما كانت تتميز بتقاليدها الملكية، وحرص أفضل العلماء والأدباء على حضور لقاءاتها ومناقشاتها.

د - وقد أسهم اختلاط المسلمين بالنخب والأكفاء من أصحاب الحضارات الأخرى في إيقاظ عقولهم، وتوسيع مداركهم وخبراتهم، وخاصة في ظل إيثار بعض هؤلاء المثقفين البقاء على معتقداتهم الدينية، مما حمل الخلفاء على تقديرهم، وإجزال العطايا لهم، وذلك انطلاقاً من

تعاليم الإسلام السمحة التي تكفل حرية الاعتقاد، ولقد تغاضى الخلفاء عن ذلك ما دام هؤلاء العلماء والمترجمون لا تتأثر مؤلفاتهم وتراجمهم بمعتقداتهم الدينية.

هـ - حرص أصحاب الحضارات الأخرى من الفرس والروم على نقل آثارهم الفكرية، وشيء من آدابهم على سبيل المباهاة، والتفاخر بها مع المسلمين، وليبينوا لهم ما توصلوا إليه من علوم وفنون حضارية، كما أنهم كانوا بحاجة إلى التقرب إلى الخلفاء، فكرسوا حياتهم لخدمة العرب والفكر الشرقي.

المحور الرابع: سلبيات حركة الترجمة في العصرين الأموي والعباسي

على الرغم من تعدد الإسهامات الإيجابية لحركة الترجمة وخاصة في تقدم الحركة العلمية في كثير من مجالات العلم، مثل (الطب والهندسة، والرياضيات، والفلك، والكيمياء)، غير أن حركة الترجمة والتعريب قد يؤخذ عليها بعض الجوانب السلبية، والتي يمكن تحديد أهمها فيما يلي (المشوخي، ١٩٨٢، ٦٤، والجندي، ١٩٩٦، ٨٧، ٨٨):

أ - لقد اضطلع غير المسلمين "من النصارى وغيرهم. ." للقيام بمهمة الترجمة، ونقل تراث الحضارات المتعددة، في الأعم والغالب من المترجمين، وهؤلاء المترجمون كانوا يعالجون ترجماتهم في الفلسفة والأخلاق والإلهيات، وفق معتقداتهم النصرانية، كما كانوا يقيمون الأدلة والبراهين الفلسفية التي تؤيد مذاهبهم، وتوجهاتهم العقدية والفكرية، مما أفقد الترجمة دقتها وأمانتها في كثير من الأحيان.

ب – تأثر بعض المسلمين بآراء الفلاسفة حيث عكفوا على دراسة كتبهم، واستقوا منها آراءهم وأفكارهم، على الرغم من اختلافها – كثيراً – من مبادئ العقيدة والشريعة الإسلامية.

جـ - تأثر بعض الفرق الإسلامية بمذاهب الفلاسفة وأفكارهم، حيث اعتمدوا في تأييد مذاهبهم على آراء الفلاسفة، وخاصة فرقة المعتزلة، والتي تأثرت بالفلاسفة، وأخذوا يعتمدون على العقل في كثير من المسائل الغيبية، حتى وصل بهم الأمر أحياناً إلى تقديم العقل على النقل، وقد احتال المعتزلة لنشر أفكارهم المبنية على أسس عقلية وفلسفية، وخاصة بعض تأثر بعض الخلفاء بأفكارهم. كالمأمون والمعتصم، مما أدى إلى اضطهاد كثير من علماء السلف الذين خالفوا المعتزلة الرأي ي مسألة خلق القرآن، وغيرها، ولذلك يعد إقحام الفلسفة في كثير من المعتقدات الدينية باباً خطيراً دخلت منه الفتن على المسلمين، مع أنهم كانوا في غنى عن هذا الجدل، ولاسيما أن بين أيديهم كتاب الله وسنة نبيه الكريم.

د - تحول الكتب الفلسفية المترجمة إلى ميدان خصب لكل من أراد أن يسيء للإسلام، حيث ظهرت آراء وأفكار في الدين الإسلامي ممزوجة بآراء الفلاسفة مثل "مذاهب الثنوية، وبدع الفلاسفة، وشبه الملاحدة".

ولكن على الرغم من الآثار السلبية السابقة لحركة الترجمة، فلقد كان لها جوانبها الإيجابية الكثيرة والتي أسهمت بنصيب وافر في تقدم الحركة العلمية في مختلف العلوم والفنون.

المحور الخامس: أبرز الآثار المرتبة على حركة الترجمة

أولاً: دور الترجمة في بناء نهضة الأمم:

الترجمة نزوع فطري في الإنسان لكشف المجهول عند الأمم الأخرى، فقد يلجأ الإنسان إلى الترجمة طلباً للرزق، أو بحثاً عن منصب أو تنمية للفكر، ولكنها تظل في المقام الأول نزوع إلى معرفة ما لدى الآخرين من علم وفكر وثقافة.

ولم تلق الترجمة عند بعض المحافظين من رجال الدين الإسلامي قبولاً، لأنهم كانوا يعدون الاطلاع على علوم اليونانيين القدماء ضرباً من الإلحاد أو حكمة مشوبة بالكفر، ولكن هذا الموقف لم يمنع من اهتمام المسلمين البالغ بترجمة التراث اليوناني والفارسي وغيرهما.

"ومن خلال استقراء تاريخ حضارات الأمم حين تنهض بعد سباتها، تجدها تلتفت إلى تراثها فتعمل على إحيائه، وتزداد فتتصل بالأمم ذات الحضارات، فتترجم عنها ماضيها وحاضرها،

وهكذا فعل المسلمون والعرب في بناء حضارتهم، كما فعلت أوربا نفس الشيء في بداية عصر النهضة" (الطويل، ١٩٨٥، ٧٢، ٧٣).

وتعد الترجمة من العوامل التي تساعد على التعرف على ثقافات الأمم الأخرى، بغية الإفادة بما هو مناسب منها، أو لمناظرة ذلك الفكر، ومناقشته، والمترجم في كلا الهدفين واقع في تحد كبير، وهو تحدي اللغة وإشكالية الثقافة، فهو لا يستطيع أن يأخذ من النص المترجم إلا بمقدار ما يفهم من لغة أجنبية عنه، كما أنه لا يستطيع أن يناقش إلا على قدر ما يتصور أنه أدركه تمام الإدراك من خلال ثقافة غريبة عن ثقافته، غير أن تلك الثقافات المتباينة تتحاور وتتناقش، ولكنها لا تتداخل تداخلاً يفضي إلى الامتزاج الكامل (الخياط، ١٩٧٧، ١٦٧).

إن الإقبال على الترجمة، وتعلم لغات الآخرين يعد مؤشراً لمقدار قوة الأمة المتلقية، والترجمة حركة إيجابية فيها إيحاء بقوة الأمة، وسعيها إلى ترسيخ قوتها، علمياً وثقافياً، وقد يوحي تعلم لغات الآخرين بشيء من الضعف أو التبعية الثقافية. وقد يكون تعلمها قصداً إلى تلاقح الفكر والثقافة والمنافسة الحضارية، وليس لمجرد النقل والاقتباس، وفي هذه الحالة يكون تعلمها ضرباً من القوة.

ومن الجدير بالذكر، أن الحضارة العربية والإسلامية قبل أن تنطلق في مجال الترجمة، والاطلاع على ثقافات الآخرين، شرعت بداية في ابتكار علوم تنظم اللغة العربية التي هي قوام الثقافة، فصنفوا في علوم اللغة والنحو والعروض، ثم صنف العرب والمسلمون في علوم تحدد المعاملات على مستوى الفرد والجماعة، فدونوا في علوم الفقه والفرائض، كما اتجهوا إلى التدوين في علوم أخرى مثل التفسير والحديث والبلاغة. وبذلك وصل المسلمون إلى درجة النضج العلمي والثقافي، الذي أتاح لهم استقبال علوم لم يكن لهم عهد بها (الخياط، ١٩٧٧، ١٦٨).

ولقد عظم دور الترجمة في بناء الحضارة الإسلامية، حيث أتاحت لهم الاطلاع على علوم اليونانيين، والفرس، والهنود، وتخير العرب والمسلمون مجالات عديدة، فترجموا وأبدعوا في ميادين (الطب والكيمياء، والطبيعة، والحكمة، والفلسفة. ..).

وبذلك أتيح لهم تمثل واستيعاب تلك العلوم، فعملوا على تنقيتها – وفق عقيدتهم وقيمهم – حتى كشفوا عن أسرار ودقائق تلك العلوم، وتوصلوا إلى مبتكرات علمية مكنتهم من القيادة العسكرية والحضارية للعالم آنذاك، كما فتحت أمام الغرب الأوربي، آفاقاً أرحب للعلم والحضارة، استطاع من خلالها بناء حضارته وتأكيد ريادته، وهكذا أدت الترجمة دوراً حيوياً في بناء الحضارة الإسلامية والإنسانية.

ثانياً: نقل وترجمة الثقافات العلمية الأجنبية إلى التراث العربي والإسلامي:

لما استقرت الأمور السياسية في الدول الإسلامية، واتسعت الفتوحات الإسلامية، وزاد اختلاط المسلمون بغيرهم من الأمم والحضارات، أقبل المسلمون على العلوم المختلفة وجدوا في طلبها، وكانت الترجمة هي قوام هذه النهضة العلمية، ونقطة البداية فيها.

والترجمة على الرغم من بدايتها في العصر الأموي، إلا أنها لم تكن تتجاوز المحاولات الفردية قد تنتهي بموت القائمين بها، غير أن الترجمة والتعريب في العصر العباسي قد انتحى منحى مغايراً، فالجهود كانت جماعية، والرعاية كانت على أعلى المستويات السياسية، كما أن جهود الترجمة كانت متعددة لتشمل معظم العلوم والفنون.

وتعددت دوافع حركة الترجمة في العصر العباسي، حيث ارتقى المسلمون، وأوغلوا في فنون الحضارة، واعتقدوا أن من أهم أسباب الحضارة هو إتقان العلم على اختلاف أنواعه، فالتمسوا ذلك العلم عند أصحاب الحضارات الأخرى التي عظم اختلاطهم بأهلها، خاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية.

كما أن بعض خلفاء المسلمين، كان لهم اهتمامات واسعة بالعلوم الفلسفية، فأعزوا المترجمين وشجعوهم على الترجمة، وأجزلوا لهم العطاءات المادية، وكان ذلك الاهتمام السياسي

عاملاً حيوياً دفع حركة الترجمة إلى الأمام، وأدى إلى انتقاء أفضل المترجمين الذين كان يجيدون اللغة التي ينقلون عنها إجادتهم للغة التي ينقلون إليها، مع إلمامهم التام بموضوعات الترجمات، وكان المترجمون يلتزمون الدقة العلمية، ويتوخون الأمانة العلمية فيما يترجمون.

كما أن إنشاء "دار الحكمة" كان له دور كبير في تنشيط الترجمة، خاصة ون هذه الدار ضمت إلى رحابها المترجمين المتميزين في شتى فنون العلم.

ويمكن عرض عملية نقل الثقافات الأجنبية إلى التراث العربي والإسلامي بشيء من التفصيل كما يلي:

أ- نقل الثقافة الفارسية إلى التراث العربي والإسلامي:

لقد كان للفرس علم وأدب يتناسب مع ضخامة ملكهم، ولما عظم اختلاط العرب بالفرس، وخاصة في العصر العباسي، تأثر العرب والمسلمون بعلوم وفنون وثقافة الفرس، ولذلك أخذوا في ترجمة الكثير من آثارهم الثقافية والعلمية، خاصة في مجالات، الآداب، والحكم، والقصص، ونظم الحكم والعادات والتقاليد، وما من شك في أن الفتح الإسلامي للإمبراطورية الفارسية، ودخول الفرس بمواريثهم الحضارية في إطار الدولة الإسلامية، قد أتاح فرصاً ثرية للتفاعل الحضاري الواسع، والخلاق بين الحضارة الفارسية، وبين الفكر الإسلامي (السايح، ٢٠٠٥، ١١٣).

ولقد انتشرت الثقافة الفارسية في العصر العباسي انتشاراً عظيماً، وساعد في ذلك عاملان:

١. إنشاء منصب الوزارة وإسناده غالباً إلى الفرس، وبذلك أتيح للفرس النظر في الأمور السياسية والحربية، والثقافية، والعلمية، وكان الوزير يقوم مقام الخليفة في كل هذه الأمور.
٢. انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد، والعراق مركز كبير للثقافة، وكانت تقطنه ممالك مختلفة، وبذلك التحول في مركز الخلافة، أصبحت بغداد أهم مركز للحضارة والثقافة في الدول الإسلامية (أمين، ١٩٩٧، ١٨٢).

ولكن على الرغم من ذلك التفاعل بين الفكر الإسلامي، والتراث الفارسي، غير أن المسلمين كانوا على حذر دائم من الخصوصيات الحضارية الفارسية، والتي يمكن أن تتعارض مع معايير الإسلام وخصائصه الحضارية، فلقد رفض المسلمون الفلسفة التي يقوم عليها نظام الحكم في فارس بسبب تقديسهم "لكسرى"، مما يتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي، كما رفضت الحضارة الإسلامية التقسيمات الطبقية للمجتمع، لتعارضها الواضح مع فلسفة الإسلام في المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، كما تصدى علماء المسلمين بحزم لكل المذاهب والفرق غير الإسلامية، والتي تبنت مذاهب الفرس وفلسفاتهم، فعلى حين فتحت الأبواب للإطلاع على التجارب العلمية الإنسانية، تجد من ناحية أخرى المقاومة للفلسفات التي تتعارض مع معايير الإسلام في السياسة والاجتماع والدين (السايح، ٢٠٠٥، ١١٤، ١١٥).

ولقد أثر الفرس تأثيراً كبيراً في الثقافة الإسلامية، وخاصة أن كثيراً ممن دون في العلوم كانوا من الفرس، وذلك لأن العلوم صناعة، والصناعات من خصائص الحضر، والعرب كانوا بدواً، (فكان صاحب النحو سيبويه والفارسي من بعد، والزجاج من بعدهما، وهؤلاء من العجم)، ولعل السبب في ذلك أن الفرس كانوا في جملتهم أقدر على التأليف والتدوين، لأنهم متعمقون في الحضارة، ولأنهم مرنوا من قديم على التأليف بلغتهم، فلما دخلوا في الإسلام وتعلموا العربية، كان تأليفهم بالعربية سهلاً، لأنه احتذاء للمنهج، وإن اختلفت اللغة والموضوع (أمين، ١٩٩٧، ٢٠٨، ٢٠٩).

ولعل هذا العصر كان عصراً ذهبياً للغة العربية، فقد زخرت بآلاف المصطلحات والمقابلات والمأثورات التي أثرت اللغة العربية، خاصة في مجالات المأكل والمشرب، وتنظيم الدواوين، ولا زال المشتغلون بالعلم يستفيدون من منجزات هذه الترجمة، وتلك النهضة العلمية والتي دونت بلغة عربية علمية معطاءة، اتسعت آفاقها لتشمل شتى العلوم والفنون (غنيم، ١٩٨٩، ٨٥).

ويعد عبد الله المقفع "رائد من رواد الترجمة من التراث الفارسي للعربية، ومن أهم ترجماته "كتاب كليلة ودمنة"، "التاج في سيرة أنوشروان"، وكان يتميز بالترجمة مع التغيير في الأصل لتلائم الذوق العربي، ويعد كتاب كليلة ودمنة، مصدراً للتجديد في الأدب العربي، خاصة في مجال كتابة القصص على ألسنة الحيوانات، وصياغة الأمثال والحكم والمواعظ على ألسنتها، وعظمت الحاجة إلى هذا الأسلوب في عصور الاستبداد، حيث يمنع النقد وتكمم الأفواه.

"وقد كان لاستحداث منصب الوزارة في العباسي، دور حيوي في نشاط حركة الترجمة، حيث كان الوزير يختار من الفرس الذين كانوا يتميزون بإتقان العلم والكتابة، كما كان الوزير ينتقي أفضل الكتاب والمترجمين، والذين هم من ذوي الاطلاع الشامل، ولذلك كان للبرامكة دور كبير في نشر الثقافة الفارسية داخل المجتمع العربي" (الطويل، ١٩٨٥، ٨١).

وقد عرف عن البرامكة إيواؤهم لكثير ممن عرفوا بحرية الرأي أو أتهم بالزندقة، وإن كان البرامكة يعنون كل العناية بالثقافة الفارسية، إلا أنهم قد عنوا بجانب ذلك بالثقافات الهندية واليونانية والعربية.

ومما لا شك فيه، إن الثقافة الفارسية كانت عنصراً أصيلاً في العصر العباسي، خاصة في الشعر ونظم الحكم، واللهو والغناء، والديانات، ومذاهب المتكلمين، وقصور الخلافة، وقد كان للفرس حماة ودعاة يعملون أحياناً بدواعي العصبية للفرس، وأحياناً بدواعي الخير والإصلاح، وكان للفرس مناصب تمكنهم من بسط نفوذهم، وحماية دعوتهم، ولم تنشر ثقافتهم في لين وهوادة، بل حوربت من عناصر أخرى كالعرب والأتراك إذا أحسوا بازدياد نفوذهم أحياناً، ولعل النجاح العظيم الذي أحرزته الدعوة إلى الإسلام في القرن الثالث الهجري، وما صاحب ذلك من فقدان العرب لبعض الامتيازات السياسية، والعسكرية، واستقرارهم في الريف، واشتغال أغلبهم بالزراعة، لعل ذلك قد ترك نتائجه الثقافية وهي امتزاج التقاليد الثقافية العربية بالتقاليد الثقافية الموروثة للشعوب الإسلامية، مما أدى إلى توليد وامتزاج الحياة الفكرية لتكتسب مزيداً من القوة والحيوية، بما يتلاءم مع متطلبات مرحلة التدوين والإبداع العلمي (محمود، والشريف، ١٩٨٢، ٢٥١).

ب- نقل وترجمة التراث اليوناني والروماني إلى الثقافة العربية والإسلامية:

لقد كان اليونانيون القدماء أصحاب حضارة عظيمة، امتدت جوانبها لتشمل مجالات مختلفة (كالفلسفة، والطب، والرياضيات، والتاريخ، والأدب، والفلك، وبعض الفنون)، غير أن ذلك التراث العلمي والفكري لليونانيين، كاد أن يضيع لولا جهود الإسكندر الأكبر، وسيطرته على بلاد الشرق، مما أدى إلى نشر الحضارة اليونانية في ربوع الشرق، سواء كان ذلك قبل الإسلام أو بعده، وقد كان لهذه الثقافة اليونانية مراكز حضارية مشهورة منها (جند يسابور – حران – الإسكندرية).

فأما "جند يسابور"، فقد أسس فيها كسرى مدرسة للطب يتم التعليم فيها باللغة الآرامية، ثم فتح المسلمون فارس، فاستمر التعليم فيها على يد الطبيب المشهور "جورجيس بن بختيشوع"، وابنه "جبريل"، وقد كانوا من النصارى الذين مهروا في الترجمة إلى العربية، وقد أتاح لهم عملهم كأطباء في قصور الخلفاء العباسيين مكانة عظيمة لديهم، كما كانت مدينة حران مركزاً هاماً لنقل التراث اليوناني في الرياضيات، والفلك، خاصة في عهد الخليفة المأمون، كما كان لمدرسة "الإسكندرية" حركة علمية وفلسفية عظيمة، خاصة في مجالات الطب والكيمياء، وعلوم الطبيعة، وقد ترجمت الكثير من الكتب في هذه المجالات، غير أنه قد يؤخذ على تلك الكتب المترجمة في هذه المرحلة، قلة الإبداع وعدم الدقة (أمين، ١٩٩٧، ٢٧٣، ٢٧٤).

وقد نقل إلى العربية في هذا العصر، أهم تآليف أرسطو، وبعض مؤلفات أفلاطون، وأهم مؤلفات جالينوس في الطب، غير أنه يمكن التمييز بين ثلاثة أطوار للترجمة تميز بها حركة نقل التراث اليوناني والروماني، وهي كالتالي (أوليري، ٢٠٠٢، ٢٠١):

الطور الأول: ويمتد من خلافة المنصور إلى آخر عهد الرشيد، وترجم في هذه المرحلة بعض كتب أرسطو في الفلسفة والمنطق، وكتاب "المجسطي" في الفلك، وقد ساعد على نهضة الترجمة في هذه المرحلة تنامي نفوذ البرامكة في عهد الرشيد، والذين أرسلوا وكلاء لهم ليشتروا المخطوطات الإغريقية من مواطن النفوذ الروماني، وهي سياسة سخية أدت إلى طلب الكثير من المؤلفات المهمة إلى بغداد، وكان معظمها في الطب والفلسفة.

الطور الثاني: والذي امتد من خلافة المأمون إلى سنة ٣٠٠هـ، وترجم في هذه الفترة كثير من كتب الفلسفة، وبعض كتب أبقراط، وجالينوس، وترجم لأفلاطون كتب السياسة المدنية، والنواميس، وجاءت معظم هذه الترجمات على يد حنين بن إسحاق ومدرسته في الترجمة.

وتميز الطور الثالث: والذي امتد من سنة ٣٠٠ وما بعدها، بعدد من المترجمين أمثال ابن زرعة، يحيى بن عدي، وترجموا كثيراً من الكتب في المنطق.

ومن أهم البواعث التي دفعت المسلمين إلى نقل التراث اليوناني والروماني (الجندي، ١٩٩٦، ٩٠):

أ - إمعان المسلمين – خاصة في العصر العباسي – في أسباب الحضارة وزيادة نفوذ غير العرب، وقناعتهم بضرورة إحراز المجد العلمي والفكري، مما دفعهم ابتداءً إلى التعرف على ما لدى الأمم المجاورة لهم من علوم وفنون حضارية.

ب – احتكاك المسلمين من العرب وغيرهم، بالعناصر المثقفة في البلاد المفتوحة، مما أيقظ عقولهم، وقلب نظام تفكيرهم، ودفعهم إلى الاطلاع على ثقافات الآخرين.

جـ - ميل بعض خلفاء بني العباس إلى العوم الفلسفية، والخلفاء عادة أقدر الناس على الترغيب فيما أحبوا. كما أن الناس دائماً أسرع ما يكون إلى تحقيق أغراضهم.

د - تميز الحركة الدينية بحالة من الجدل الديني، سواء بين المسلمين أنفسهم، أو بين المسلمين وغيرهم من النصارى واليهود، وكانت مجادلات اليهود والنصارى تعتمد على المنطق اليوناني، والفلسفة اليونانية، مما اضطر المسلمين إلى مجادلة غيرهم بنفس أسلحتهم، فعكفوا على المنطق والفلسفة يستخدمونها في أغراضهم، ثم تحولت دراسة الفلسفة بعد ذلك إلى غاية في نفسها.

وتناول المسلمون التراث اليوناني بالترجمة والتحليل والتقويم، فقد كانوا يتعاملون معه وفق فلسفتهم الإسلامية، ولذلك يلاحظ على مؤلفات بعض علماء المسلمين ميل إلى التوفيق بين الحكمة والشريعة، وخاصة في كتابات ابن رشد، والفارابي، وابن سينا.

ولقد كان للتراث اليوناني والروماني أثر كبير في المسلمين، حيث تأثر المسلمون في تدوينهم للعلوم العربية بالمنطق اليوناني والفلسفة اليونانية، والتي بدت واضحة في كتابات علماء الكلام، والمتصوفين. غير أن تأثير الأدب اليوناني كان محوراً للغاية إذا قورن بالعلم والفلسفة، ويمكن أن يعزي ذلك إلى الطبيعة العالمية للعلم، والطابع القومي للأدب، فضلاً عن أن الأدب اليوناني أدب وثني فيه آلهة متعددة، وتقديس أبطال، والذوق العربي ذوق مسلم لم يتقبل ذلك النوع من الأدب، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان تأثير اليونان واسعاً عميقاً في الفلسفة والعلوم الرياضية والطبية، مما أفاد الحضارة الإسلامية وأضفى عليها طابعاً عالمياً امتد أثره بعد ذلك قرون متطاولة، مما أهلها لتكون أساساً لثقافة أوربا الحديثة، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى نهضتها الحديثة (شلبي، ١٩٨٢، ٢٥١، ٢٥٢).

يلاحظ على ابتكاراتهم العلمية، الحرص على التوفيق بين الحكمة والشريعة، خاصة في كتابات ابن سينا، وابن رشد، والفارابي.

ج- نقل وترجمة التراث الهندي إلى الثقافة العربية والإسلامية

لما أتم الله على المسلمين فتح الهند، وزاد اختلاط المسلمين بالهنود، تأثرت الثقافة الإسلامية بالتراث الهندي في مجالات عديدة مثل: الأدب، والفلك، والطب، كما اتصل المسلمون بالهنود عن

طريق التجارة، ومن ناحية أخرى كان للفرس اهتمام كبير بالثقافة الهندية، ولذلك عملوا على نقلها إلى ثقافتهم الفارسية، ومن خلال اطلاع المسلمين على الثقافة الفارسية، انتقلت كذلك الثقافة الهندية إليهم.

ولقد كان للهنود ثقافة تميزهم عن الثقافة اليونانية، من حيث امتزاج الثقافة الهندية بالدين، وصبغتها بصبغة شعرية، واتجاهها إلى خدمة الإنسان. ..، واتصل المسلمون بالهنود، وأخذوا عنهم الرياضيات، وذلك عندما أمر الخليفة "المنصور" بترجمة عدة كتب هندية منها كتاب "السندهند"، كما سماه المسلمون، وكتاب "الأركند" و"الأرجبهر"، ويعد هذا دليلاً على شدة تأثير كتب الهنود في تلقي العرب لعلوم الرياضة والفلك (الطويل، ١٩٨٥، ٨٢، ٨٣).

كما عهد الرشيد إلى "كنكه" الهندي (طبيب خاص) بنقل وترجمة عدة كتب من الهندية إلى العربية. فترجم عدة كتب في الطب على طريقة الهنود، وكان ممن أسهم معه في هذا النقل "ابن دهن" الذي كان يشرف على مستشفى البرامكة، والتراث الهندي في العلم والحكمة، تراث له مكانته المتميزة، وذلك لأن الهنود أمة كثيرة العدد، فخمة الممالك، عرف عنهم الحكمة والإتقان في فنون المعرفة. ..، ونظراً لبعد الهند عن جزيرة العرب، قلت تآليفهم بين أيدي العرب، ولم يصل منها إلا القليل، ومما وصل إلى العرب من علومهم حساب العدد الذي بسطه "محمد بن موسى الخوارزمي"، كما اختصره وقربه إلى الأفهام في أوجز عبارة وأسرع طريق في الوصول إلى الغرض (غنيم، ١٩٨٩، ٥٦، وظاظا، د.ت، ١٨، ١٩).

ولقد استفاد الأدب العربي من التراث الهندي عدة أمور (الطويل، ١٩٨٥، ٨٣، ٨٤، وأمين، ١٩٩٧، ٢٦٥، ٢٦٦، النملة، ١٩٩١، ٥٥٤، المناوي، ٢٠٠٣، ١٣٩، ١٤٠):

- ألفاظ كثيرة ذات أصل هندي دخلت العربية، من خلال التجارة. كأسماء بعض النباتات والحيوانات الهندية، كالأبنوس، الخيزران، والببغاء. ..
- كما تأثر المسلمون في أدبهم بالقصص الهندية، حيث اهتم المسلمون بترجمة كتاب "أساطير الحكيم بيدبا"، والذي ترجم إلى الفارسية من لغة الهند القديمة، ثم نقله إلى العربية "عبد الله بن المقفع"، بعد أن أضاف إليه وحذف منه، ولقد اشتهرت هذه الترجمة شهرة واسعة، حتى ترجم هذا الكتاب إلى لغات أوربية كثيرة "كالإنجليزية، والفرنسية، والأسبانية" كما ترجم المسلمون كتاب "كليلة ودمنة" من الفارسية وهو هندي الأصل.
- غير أن الأدب العربي تأثر كثيراً بطريقة الهنود في الحكم، وهو نوع يتفق والذوق العربي، ويشبه الأمثال العربية، وذلك لقصر جمله، وكثرة معانيه، ولقد بدأ تأثير الحكم الهندية واضحاً في مؤلفات الأدباء العرب من أمثلة "ابن قتيبة" والذين ضمن كتابه الطبقات كثيراً من حكم الهنود، وأمثالهم.

كما تأثر كذلك الشعر العربي بأقوال الهنود في الفلك، كما انتقل كثير من العادات والتقاليد الهندية إلى المجتمع العربي.

وهكذا أفادت الثقافة الهندية المجتمع العربي والإسلامي في مجالات متعددة خاصة الحكم والقصص، وبعض التقاليد الاجتماعية، والتي امتزجت بالتراث الإسلامي حتى صار عنصراً حيوياً من عناصره. (غمري، ٢٠٠٠٦، ٥٠).

المحور السادس: نتائج حركة الترجمة في العصرين الأموي والعباسي:

قد تمكن العرب والمسلمون من بناء حضارة قوية الدعائم. نبيلة الغايات، إنسانية التوجهات، استطاع علماء المسلمين خلالها إنتاج تراث علمي، أصيل في فنه، عربي في لغته، ديني في طابعه، اعتمد بداية على نقل وترجمة تراث الأمم المتحضرة عبر مراحل التاريخ الإنساني، ثم ما لبيت العقلية العربية والإسلامية أن أنتجت الجديد والمتميز في مختلف العلوم والفنون مثل: (الطب، والرياضيات، والكيمياء، والطبيعة، والفلك، والجغرافيا. ..)، وقد يكون من المجدي في هذا الميدان،

أن تعرض الدراسة في السطور التالية لتلك النتائج العامة التي أفرزتها حركة الترجمة والتعريب في تلك الفترة المتميزة من تاريخ الأمة الإسلامية، والتي يمكن توضيحها كما يلي:

١. اتساع آفاق المعرفة في العالم الإسلامي لتشمل علوماً وفنوناً وفلسفات متعددة، لم يكن للعرب والمسلمين علم بها من قبل، وبذلك استفاد المسلمون خبرة واتساعاً في المعارف، وازدادوا تعمقاً في أسرارها، وانطلق علماء المسلمين في عقيدة واثقة من تأييد الدين الحنيف، وبتأييد من الخلفاء إلى تناول التراث الإنساني، فأحدث ذلك التفاعل بين الفكر الأجنبي، والتراث الإسلامي الأصيل، إنتاجاً علمياً وحضارياً متميزاً، والذي هيأ جذوره للأمة الإسلامية قيادة العالم الفكرية لقرون متعاقبة.

٢. تحول اللغة العربية لتصبح لغة للمعارف الإنسانية، بعد أن كانت مجرد لغة محلية لمجموعة من القبائل تعيش في الجزيرة العربية، ولعل حركة الترجمة ونقل العلوم إلى العربية، قد أثرت اللغة العربية في مفرداتها، وتراكيبها، وتلقى المعجم العربي الكثير من ألفاظ الحضارة الأجنبية، والتي تم تعريبها لتلائم النظام اللغوي العربي، ولتوائم الذوق العربي، ومن ناحية أخرى برهن اللغة العربية – بما لا يدع مجالاً للشك – قدرتها الفائقة على تمثل واستيعاب كافة مجالات الحياة، والتعبير عنها بدقة وإيجاز، ووضوح، كما اكتسبت الكتابة العربية قدرة على التنسيق، والتنظيم، نتيجة لاستعمالها في تقديم علوم الطب، والفلك، والكيمياء، والمنطق، والرياضيات. ..

٣. تمكن العرب والمسلمون من إنجاز حضارة عظيمة "فاقت كل الحضارات"، حيث اعتمدت من الناحية المادية على ما وصلت إله الحضارات القديمة، واعتمدت على الثروات الطبيعية التي أفاض الخالق العظيم بها على الأرض الإسلامية، غير أن هذه الموارد المادية والثقافية لم تكن وحدها لتقيم حضارة عظيمة لها انتشار ودوام، كالذي حققته الحضارة الإسلامية، اللهم لولا الالتزام بتعاليم الدين الحنيف الذي امتد ليضم تحت مظلته شعوباً كثيرة اعتنقت الإسلام، وطوائف أخرى من غير المسلمين الذين ظلوا على دياناتهم، وعاشوا في كنف عدل الإسلام وسماحته، وتفاعلوا مع العنصر المسلم العربي وغيره، وأسهموا بقدر وافر في بناء وتشييد تلك الحضارة الإسلامية (دونالدز، ٢٠٠٤، ٨، ٩).

٤. يعد الحضارة الإسلامية بمنجزاتها المادية والعلمية، حلقة الوصل بين الحضارات القديمة، والنهضة الأوربية الحديثة، ولذلك عبر العالم "ليبري" عن تلك الحقيقة بقوله: "احذفوا العرب من التاريخ يتأخر عصر التجديد في أوربا عدة قرون" (غنيم، ١٩٨٩، ٩٣)، وقد اعترف المؤرخون الغربيون، "بأن المرحلة الرائدة لعصر العلم الحديث، قد تمت على أيدي علماء المسلمين في العصر القيادي للحضارة الإسلامية، ولقد اعترفوا بأن حركة الإحياء" التي كانت النواة الأولى للنهضة الحديثة في أوربا، إنما قامت أساساً على ما نقل وترجم إلى الغرب الأوربي من التراث العربي والإسلامي عن طريق المعابر التاريخية الحضارية في العصر الوسيط وهي "الأندلس، صقلية، والدردنيل. .." (عبد الرحمن، ١٩٩١، ١٣٢).

٥. يعد ما وصل إلينا من التراث العلمي والحضاري للدولة الإسلامية – على قلته – شاهد صدق يؤكد سبق العلماء العرب والمسلمين إلى إرساء أصول المنهج العلمي السليم، ويؤكد على أسبقية هؤلاء العلماء في إثراء المعارف العلمية والتقنية، ودفعها إلى التقدم والازدهار (دونالدز، ٢٠٠٤، ٩). ومن الجدير بالذكر أن تعرض الدراسة قائمة لهؤلاء العلماء تتضمن بعض مؤلفاتهم العلمية والتي أضاءت للبشرية طريقها لقرون متعاقبة.

أبرز نتائج الدراسة:

١. "يعد الانفتاح على العلم العالمي، إلى الالتقاء بالحضارات المختلفة أمر لا مفر منه لمواكبة التقدم، والأخذ بمصادر القوة والرقي، ولذلك فلابد من تفاعل الفكر والعلم والحضارة، لأن العلم والحضارة يتصفان بالوحدة، ولن تقف الحدود والقيود عائقاً دون انتقال المعلومات".

٢. ضرورة إتقان الدارس للغة أجنبية حية على الأقل، كما ينبغي ألا يتعارض ذلك مع إتقان اللغة العربية، وأهمية التعليم بها في كافة مراحل التعليم، "كما أن الترجمة وسيلة مرحلية، ولكنها مستمرة، اعتمدت في القديم على رعاتها من الحكام، وهي جديرة الآن بأن تستغل كوسيلة حضارية في بناء المؤسسات الثقافية، والتعليمية في المجتمعات والحكومات المتحضرة.
٣. اتسعت آفاق العلم والمعرفة في العالم العربي لتشمل علوماً وفلسفات متعددة لم يكن للعرب والمسلمين علم بها من قبل، وقد أفادهم ذلك التنوع في زيادة خبراتهم وتوسيع معارفهم، وازدياد قدرتهم على سماع فكر الآخرين، وتنمية قدرتهم على إبداء النقد من خلال تعمق آيات القرآن، وإعلاء مبدأ التوفيق بين العلم والحكمة من ناحية، ومبادئ الشريعة من ناحية أخرى.
٤. قدرة اللغة العربية على استيعاب وتمثل معطيات العلم والحضارة، حيث أكدت حركة نقل وترجمة العلوم في العصرين الأموي والعباسي على كفاءة اللغة العربية في استيعاب كافة مجالات الحياة من سياسة واقتصاد، وعلم وإدارة. .، وذلك لأنها لغة عالمية، لها من الخصائص والقابلية للتطوير ما يؤهلها لتقديم كافة المنجزات الحضارية، ولا غرو فهي تمتاز بوفرة الألفاظ، وثراء التراكيب، ودقة التعبير، ووضوح الدلالة والقابلية للتطوير، فضلاً عن أنها لغة وحي وكتاب معجز خالد، وهو القرآن الكريم الذي يحفظ لها حيويتها ومقومات بقائها.
٥. يمكن تحديد ثلاثة أطوار مرت بها حركة الترجمة ونقل العلوم في العصرين الأموي والعباسي كما يلي:

أ- **المرحلة الأولى:** وتبدأ منذ البدايات الأولى للترجمة في العصر الأموي، وحتى نهاية عصر الخليفة الرشيد، وقد ترجمت في هذه المرحلة مؤلفات أفلاطون، وجالينوس في الطب، وكتب "كليلة ودمنة، والسندهند"، ومنطق أرسطو، وكتب كثيرة في الفلك والرياضيات، ويعد عبد الله بن المقفع جورجيس بن جبريل، ويوحنا بن ماسوية، إبراهيم بن حبيب الفزاري، من أشهر المترجمين في هذه المرحلة، وتتميز هذه المرحلة بسيطرة النصارى على هذه المرحلة، وتمتاز في مجموع ما ترجمته بقلة الابتكار، وعدم الدقة، وتعدد الموضوعات المترجمة.

ب- **المرحلة الثانية:** وتبدأ من ولاية الخليفة المأمون حتى انتهاء مدرسة حنين ابن إسحاق في الترجمة سنة ٣٠٠هـ، وقد ترجمت في هذه المرحلة الكثير من كتب أرسطو، وكان التركيز في هذه المرحلة على ترجمة كتب الفلسفة والمنطق، كما ترجمت الحكم الذهبية لفيثاغورث، ومصنفات في الطب لأبقراط وجالينوس.

ويعد حنين بن إسحاق، وابنه إسحاق، وثابت بن قرة، ويوحنا البطريق، وقسطا بن لوقا البعلبكي، من أشه رجالات الترجمة في هذه المرحلة.

وتميزت هذه المرحلة بتنوع مجالات الترجمة، وتنظيم وتنسيق واختيار الأعمال المترجمة، وتحول حركة الترجمة لتصبح في عهد المأمون، سياسة أمة، وأولوية من أولويات تقدمها.

ج- **المرحلة الثالثة:** وهي مرحلة الإبداع والابتكار والإنتاج الأصيل، وتبدأ هذه المرحلة من بدايات القرن الرابع الهجري، وتستمر حتى مجيء هجمات المغول والصليبيين. ولقد ترجمت في هذه المرحلة كتب المنطق والطبيعة والطب، ومن أشهر المترجمين في هذه المرحلة "متى بن يونس، وسنان بن ثابت بن قرة".

وتعد هذه المرحلة، مرحلة التحول من مجرد النقل والترجمة إلى الإنتاج الأصيل، والإبداع العلمي، حيث تناول العلماء كافة صنوف العلم في إطار التوفيق بين الحكمة والشريعة، كما تتميز هذه المرحلة، بأصالة الفكر وتضمين الشروح لنتائج خبراتهم وخلاصة تأملاتهم.

٦. تؤدي الترجمة دوراً بارزاً في نهضة العلوم وتقدمها عن طريق الترجمة من أكثر من لغة وإليها مما يسهم بدرجة كبيرة في تبادل العلوم والخبرات والاستفادة منها.

التوصيات:

١. ضمن مطلوبات تفعيل عملية الترجمة الإسلامية تكوين مراكز متخصصة في مجال الترجمة تعنى بكل ما يكتب ويقال عن الإسلام بالإضافة إلى قيامها بترجمة التراث الإسلامي بما يخدم الدعوة الإسلامية.
٢. حتى نستطيع النهوض بالترجمة على الوجه الذي يجعلها تؤدي الدور المطلوب في تبليغ الدعوة كان لا بد من وضع إستراتيجية تخدم ذلك وذلك عن طريق إعداد الكوادر التي تتقن اللغات العالمية ليصبحوا مترجمين للنصوص الإسلامية، بالإضافة إلى إعداد الدعاة الذين يتقنون اللغة العربية جنباً إلى جنب مع لغة بلدانهم، ويتم ذلك عن طريق التنسيق مع الحكومات والدول الهيئات الإسلامية والأفراد.
٣. تكوين مراكز متخصصة في مجال الترجمة تعنى بكل ما يكتب ويقال عن الإسلام بالإضافة إلى قيامها بترجمة التراث الإسلامي.
٤. الاهتمام بالدوريات والإصدارات بلغات متعددة تعني بالشأن الإسلامي من تراث إسلامي وأخبار العالم الإسلامي، وعن طريق هذه الإصدارات والدوريات يستطيع المسلم معرفة ما يدور في العالم الإسلامي، كما يستطيع الوقوف على التراث الإسلامي الأصيل.

المقترحات:

١. عمل دراسة عن مشكلات الترجمة في العصر الراهن وكيفية التغلب عليها.
٢. عمل دراسة عن متطلبات الترجمة في العصر الراهن وآليات تحقيقها.
٣. عمل دراسة عن واقع إعداد المترجمين وكيفية تطويره.
٤. تصور مقترح لمؤسسات إعداد المترجمين في ضوء الخبرات العالمية المعاصرة.

مراجع الدراسة

١. ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (١٩٨٧): الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢. أمين، أحمد (١٩٩٧). ضحي الإسلام. (سلسلة الأعمال الدينية لمكتبة الأسرة)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣. جبر، ممدوح محمد (٢٠٠٩). فن الترجمة الصحيحة إلى اللغة الإنجليزية، دار الحرم للتراث القاهرة.
٤. الجندي، مجاهد توفيق (١٩٩٦). "تجاربنا التاريخية في تعريب العلوم". المؤتمر السنوي الثاني لتعريب العلوم. الجمعية المصرية لتعريب العلوم. القاهرة: جامعة الأزهر. مركز صالح كامل، في الفترة من (٢٠ – ٢١ مارس ١٩٩٦).
٥. الجوهري، الصحاح، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، ١٩٩٩، ج ٤.
٦. خلوصي، صفاء (١٩٥٦). فن الترجمة، مطبعة دار المعرفة، بغداد.
٧. خلوصي، صفاء (١٩٨٢). الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة، دار الرشيد للنشر، منشورات "وزارة الثقافة والإعلام".
٨. الخياط، محمد هيثم (١٩٧٧). في سبيل العربية، المنصورة: دار الوفاء. الطبعة الأولى.
٩. دونالدز هيل (٢٠٠٤). العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية. لبنات أساسية في صرح الحضارة الإنسانية، ترجمة أحمد فؤاد باشا. سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع (٣٠٥)، يوليو.
١٠. دي لاسي أوليري (٢٠٠٢). مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة: تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب.

١١. رسول، سمية بنت حافظ غلام (د.ت): دراسة عن احتياجات المترجم والمؤثرات التي تؤثر عليه، مترجمة اللغة الأُردية بالمسجد النبوي، د.ن.
١٢. السايح، أحمد عبد الرحيم (٢٠٠٥). الخطاب الديني والواقع المعاصر. " سلسلة قضايا إسلامية" المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة: ع ١٢٨، نوفمبر.
١٣. سوريان، ك، فلورين (١٩٧٩). فن الترجمة، ترجمة د. حياة شراره، منشورات وزارة الثقافة والفنون، القاهرة.
١٤. شلبي، أحمد (١٩٨٢). موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. العصر العباسي الأول، الطبعة السادسة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
١٥. الضالع، محمد صالح (٢٠٠٨). دراسات في الترجمة واللسانيات العبرية، القاهرة.
١٦. الطويل، توفيق (١٩٨٥). في تراثنا العربي الإسلامي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: ع ٨٧، جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ، مارس.
١٧. ظاظا، حسن (د.ت). الدولة الإسلامية وترجمة العلوم. مجلة الفيصل، هدية العدد (٢٣٩)، الترجمة في ظل الحضارة الإسلامية وأثرها في الآداب والعلوم.
١٨. عبد الرحمن، عائشة (١٩٩١). لغتنا والحياة، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة.
١٩. عبد الرحمن، مجيه حمد (١٤٣٠هـ). ترجمات إنجليزية لمعاني القرآن الكريم في ميزان الإسلام ١٤٣٠/٠٦/٢١هـ - www.qurancomlex.com
٢٠. عبد المجيد، محمد (٢٠٠٥). الترجمة بين اللسان والقلم، مجلة المأمون، العدد الأول، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد.
٢١. غمري، السيد إسماعيل محمد إبراهيم (٢٠٠٦): اتجاهات أعضاء هيئة التدريس بالكليات التطبيقية والتقنية نحو قضية تعريب العلوم، دراسة ميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر.
٢٢. غنيم، كارم السيد (١٩٨٩). اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة. سلسلة عالم الفكر. وزارة الإعلام الكويتية. المجلد ١٩، العدد ٤٠، يناير – فبراير – مارس.
٢٣. غنيمة، عبد الفتاح مصطفى (٢٠٠٠). تعريب التعليم والعولمة. مجلة منبر الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة: ع (٤) ربيع الآخر ١٤٢١هـ، يوليو ٢٠٠٠م.
٢٤. غوتاس، ديمتري (٢٠٠٣). الفكر اليوناني والثقافة العربية، ترجمة ونقل نقولا زيادة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت
٢٥. فرناند بروديل (١٩٩٩). ترجمة حسين شريف، تاريخ وقواعد الحضارات. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٦. الكك، فكتور (٢٠٠٨). اللغة العربية في إيران منذ الإسلام حتى اليوم، مجلة عالم الفكر، م ٣٧.
٢٧. كيدير، ماثيو (٢٠١١). الترجمة، ترجمة: حسيب إلياس حديد، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد.
٢٨. مؤمن، أكرم (٢٠٠٤). فن الترجمة للطلاب والمبتدئين، دار الطلائع القاهرة.
٢٩. مجلة المجتمع - رقم العدد: ١٥٣٩ - تاريخ العدد: ٢٢-٠٢-٢٠٠٣م - http://www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?InSectionID=78&InNewsIte mID=105226
٣٠. محمد، سعاد عبد الكريم (٢٠١٠). أهمية الترجمة في تعلم اللغة العهد القديم والقرآن الكريم أنموذجاً، المؤتمر العلمي السادس لكلية اللغات، جامعة بغداد.
٣١. محمد، محمد عوض (١٩٦٩). فن الترجمة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية.
٣٢. محمود، حسن أحمد، والشريف، أحمد إبراهيم (١٩٨٢). العالم الإسلامي في العصر العباسي. الطبعة الخامسة. دار الفكر العربي. القاهرة.
٣٣. المخلفي، زيد بن خالد مطلع (٢٠١٣): التأثير والتأثر بين الأدب العباسي والأدب الأندلسي في النثر (كتاب العقد الفريد وعيون الأخبار لابن قتيبة نموذجا)، متطلب تكميلي لدرجة الماجستير في الأدب العربي والنقد الأدبي، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.
٣٤. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (٢٠٠٢). مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به: يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢٠٠٢، ج٤.

٣٥. المشوخي، عبد الله (١٩٨٢). موقف الإسلام والكنيسة من العلم. الأردن: مكتبة المنار.
٣٦. مصطفى، أشرف معوض (٢٠٠٠). مرشدك إلى الترجمة الصحيحة، مطابع ابن سينا، القاهرة.
٣٧. معن علي المقابلة (٢٠٠٩): حركة الترجمة في العصر العباسي تواصل مع الآخر، وزارة التربية والتعليم الأردنية، د.ن.
٣٨. المناوي، محمود فوزي (٢٠٠٢). أزمة التعريب، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر.
٣٩. منتصر، عبد الحليم (١٩٩٦). تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، الطبعة التاسعة، دار المعارف، القاهرة.
٤٠. النملة، على ابراهيم(١٩٩١). مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ع ٤٠، رجب ١٤١١هـ، فبراير.
٤١. هلال، عبد الغفار حامد (٢٠٠٤). العربية خصائصها وسماتها، ط١، القاهرة.
٤٢. الهلباوي، كمال توفيق (١٩٨٧). موقع التعريب والترجمة من التثقيف والأسلمة، رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض: ع ٢٣.
٤٣. وهبة، مجدي (١٩٧٤). معجم مصطلحات الأدب انكليزي- فرنسي- عربي، مكتبة لبنان، بيروت.
٤٤. يوسف، محمد حسن (٢٠٠٦): كيف تترجم، الكويت، ط٢.
45. Akbari، Monireh. (2013). Strategies for Translating Idioms. Journal of Academic and Applied Studies (Special Issue on Applied Linguistics) Vol. 3(8) August 2013، pp. 32-41
46. Munday، J. (2001). Translating the foreign: The invisibility of Translation. In Introducing Translation Studies: Theories and Applications (pp. 144-161). London And New York: Routledge.